



منهج القرآن ومنهج المتكلمين
فضأة عام الكلام وخطأ
منهج المتكلمين

اسلوب عربي خبيث
فرض تدريس اللغة الانجليزية
بناء فاسد لعقلية ابناؤنا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

صدق الله العظيم



جامعية - فكرية - ثقافية

تصدر غرّة كل شهر هجري
عن ثلثة من الشباب الجامعي
في لبنان

عناوين «الوعي»

لبنان:

- جامعة بيروت العربية -
ص ب: ١١٥٠٢٠ - علبة بريد
رقم: ٢١١
- كلية بيروت الجامعية -
ص ب: ٠٨٩/٠٥٢ - ١٣
- الجامعة الأميركية في
بيروت - ص ب:
٠٢٢٤١/٠٢٢٦ - ١١

إلى السادة الكُتّاب

- يجوز إعادة نشر
المواضيع التي تظهر في
«الوعي» دون إذن مسبق على
أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا
المواضيع التي لم يسبق
نشرها، أو على الكاتب ذكر
المصدر.
- لا «الوعي» حق
التصرف بالمواضيع المرسله.
- ترقيم جميع الآيات
القرآنية وتخريج الأحاديث
النبوية الواردة في المقالات.

في هذا العدد

- ٢ □ كلمة المحرر.....
- كلمة «الوعي».....
- ٤ □ الاسلام فكرة وطريقة.....
□ كلمة «الوعي».....
- ٤ □ الاسلام فكرة وطريقة.....
□ اردود ومناقشات.....
- ٦ □ وقفة مع مفكر اسلامي معاصر.....
□ فكر إسلامي.....
- ٩ □ الطريقة لازمة وملزمة.....
- ١٢ □ تعليق على مؤتمر القمة في عمان.....
□ فكر إسلامي.....
- ١٤ □ منهج القرآن ومنهج المتكلمين.....
- ١٨ □ أخبار المسلمين في العالم.....
□ أبحاث إسلامية.....
- فرض تدريس اللغات الأجنبية بناء فاسد لعقلية
أبنائنا.....
٢٠ □ كتاب الشهر.....
- ٢٤ □ «حكم الإسلام في الاشتراكية».....
□ في مواجهة الغزو الفكري.....
- ٢٦ □ الاسلام فكرة وطريقة :
□ أول القوانين الغربية الى
□ بريد «الوعي».....
□ سؤال وجواب.....
- ٣٠ □ الاضراب اخلال بعقد شرعي وهو حرام.....
□ مواقف تاريخية.....
- ٣٢ □ سياسة تدعو للإسلام.....
- ٣٤ □ مع القرآن الكريم.....
- ٣٥ □ حديقه «الوعي».....

ثمن العدد

اميركا: دولار امريكي
استراليا: ١,٥ دولار استرالي

لبنان: ٢٠ ل.ل.
السويد: ٥ كورون سويدي

اختلاف الأئمة رحمة

أخي القارئ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

من الأساليب التي اتبعتها الغرب الكافر لإبعاد الناس عن الحركات الإسلامية المخلصة التي تعمل لإزالته وطرده من بلاد المسلمين واستئناف الحياة الإسلامية الكريمة في ظل دولة الخلافة، من هذه الأساليب أسلوب الطعن بهذه الحركات من خلال أبواقه وأزلامه في العالم الإسلامي متهماً هذه الحركات بتشتيت المسلمين والعمل لتفرقتهم. فكان بالطبع هناك من يروج أو من انطلت عليه هذه الفرية؛ وأخذ يتبناها ويدعو المسلمين للبعد عن الحركات الإسلامية ونبذها ومحاربتها، فنجح الغرب بإيجاد من يحارب الحركات الإسلامية من المسلمين أنفسهم.

وللد على هذه الفرية، نقول أنه قديماً قال بعض الفقهاء (اختلاف الأئمة رحمة للأئمة)، وذلك لأنهم كانوا يدركون بأنه لا مجال لمنع الاختلاف، ولجعل كل الناس يتبنون رأياً واحداً لا وجود لوجهات نظر فيه مع وجود باعث الاختلاف. وذلك لسببين:

أولاً: طبيعة الإسلام، والاجتهاد في الإسلام يجب أن يكون في مورد النص، والنصوص الشرعية في الإسلام هي إما الكتاب وإما السنة لا ثالث لهما. وإذا نظرنا إلى الموردين وجدنا أن هناك نصوصاً كثيرة تحمل علة معان، فهنا كان طبيعياً أن يحصل الخلاف وذلك لاحتمال هذه الآيات علة معان. وما نجد في القرآن الكريم نجده في السنة. فهناك أيضاً أحاديث كثيرة، يشكك البعض برواتها والبعض الآخر يوثق هؤلاء الرواة، ولذلك نجد محدثاً يقول عن حديث أنه صحيح، وآخر يقول انه ضعيف. ولذلك فإن طبيعة الإسلام تحتم الخلاف.

ثانياً: طبيعة الإنسان، فقوى البشر الفكرية تتفاوت من شخص لآخر. والمجتهد عندما يجتهد يبذل ما في وسعه في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية. فنظراً لاختلاف قدرات الأشخاص الذهنية، نجد أن الاختلاف لا بد منه. لكن في الإسلام مسلمات لا يجوز الاختلاف فيها ولا يُسمح بالاختلاف فيها، ألا وهي مسائل العقيدة. ولذلك لم نجد الحركات الإسلامية تختلف في أمور العقيدة، بل نجد أنها قد اختلفت في المسائل الفرعية.

ولكن لا بد من إن هناك بعض الحركات الإسلامية خرجت عن آداب الاختلاف في الإسلام. فلو راجعنا جميع الكتب الفقهية الإسلامية العائدة إلى العصور المزدهرة نجد أن الخلاف ظل قائماً، ولكن ضمن حدود وآداب الاختلاف. ومثال ذلك (والأمثلة كثيرة جداً) أن الأئمة المجتهدين اختلفوا في مسائل كثيرة جداً، لكن اختلافهم لم يصل بهم إلى

مهاجمة بعضهم على المنابر أو في الكتب والمؤلفات، وفي أغرب الأحيان اللجوء إلى السلاح بدل المناقضة الفكرية البناءة. بل العكس هو الصحيح، فعندما كان يُسأل أحدهم عن رأيه في الآخر كان يثني عليه الشناء الحسن □ رئيس التحرير

كلمة (الوعي)

عَقِيدَتْنَا مَا عَقْلٌ وَنَقْلٌ

أَمَّا شَرِيعَتُنَا فَنَقْلٌ فَقَطْ

المحاكمة العقلية

ظهر في العصر الحديث منهج جديد عند علماء المسلمين في التعاطي مع أحكام الشرع الإسلامي. وربما لم يكن هذا المنهج مقصوداً لذاته بل لا يُعقل أن يكون مقصوداً وإلا كان إساءة من علماء المسلمين، وإنما نقول إن منهجهم الذي سنأتي على ذكره، قد أذى إلى إساءة فهمه من قبل الأمة الإسلامية لشدة ضعف فهم الإسلام لديها. انه منهج المأكمة العقلية لأحكام الشرع الإسلامي. ولعل علماء المسلمين، أو غالبيتهم، مدركون تماماً خطأ هذا النهج، لكن ظروفًا معينة أهدت إلى أن تصبح المحاكمة العقلية أمراً شائعاً عند المسلمين.

والذي نعنيه بالمحاكمة العقلية هو أن المسلمين اليوم - إلا من رحم ربي - يظنون أن بإمكانهم الحكم على الأحكام الشرعية، وعلى مدى صلاحها أو فسادها، وكأنّ الصلاح والفساد يحدده العقل البشري!

مطعن في الإسلام!

ظهر في الآونة الأخيرة مؤلفات كثيرة تحاول إظهار محاسن الإسلام من خلال إظهار صلاح الأحكام الشرعية فيه. ونعني بالآونة الأخيرة الفترة الممتدة من أواخر القرن الماضي وحتى هذا اليوم. ففي هذه الفترة، اشتد الغزو الفكري لبلاد المسلمين، وانبرى كثير من المستشرقين يطعنون في الإسلام وأحكامه الشرعية. وعمد هؤلاء تارةً إلى وصف أحكامه الشرعية بأنها لا توافق العصر، وطوراً بأنها تؤوي إلى الفساد والمفسدوقد اشتدّ هوى لدى هؤلاء أحكاماً شرعية في الفقه الإسلامي كان سهلاً عليهم، بمفاهيمهم الغربية، أن يطعنوا في الإسلام من خلالها. ومن هذه الأحكام تعدد الزوجات، وإباحة الرق، ولباس المرأة الشرعي، وغيرها كثير من الأحكام التي تتراوح ما بين النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في الإسلام.

مجموعة مثاليّات

وقد تصدى الغيّورون من المسلمين لهؤلاء الطاعنين، وحاولوا إظهار محاسن الإسلام، ودافعوا عن أحكامه الشرعية. ورغم أن هدف هؤلاء العلماء كان الدفاع عن الإسلام، إلا أن منهجهم قد أدى إلى إظهار الإسلام في موقف الضعف. ومنذ ذلك الحين، انتشرت المحاكمة العقلية لأحكام الشرع، وملاءمتها للواقع، وصلاحيتها للتطبيق. وانبرى من

المسلمين ففات همّها البحث عن محاسن ما في الإسلام من أحكام. وبذلك عكس هؤلاء تلقّي الأحكام الشرعية: فصاروا يصوّرون الإسلام. بأنه مجموعة مثاليات، وأنّه نظام يشتمل على كل ما هو خير وصالح وحسن.

نعم، لقد سمح هؤلاء لأنفسهم أن يؤيّدوا الأحكام الشرعية بما رأوا فيها من صلاح وقيم وأخلاق. ولكن المسلمين لم يدركوا حدود هذا الأمر، فظنّوا أن ما لم يكن خيراً وصالحاً في نظرهم لا يُعقل أن يكون من الإسلام. وأصبح لتلقّي الأحكام الشرعية منهج خاص عند المسلمين: وهو محاكمة هذا الحكم الشرعي أولاً؛ فإذا لم يكن صالحاً وخيراً ومثالياً في نظرهم فإن هذا الحكم يُردّ لأنه لا يعقل أن يكون من الإسلام، مهما كانت قوة دليله.

(سبب) الحكم الشرعي

والواقع أن هذا أمر بديهي لا بد أن يحصل. فالمسلمون يقرّون مع كل حكم شرعي يتعلمونه (سبباً) لذلك الحكم. وغداً لكل حكم شرعي أنزله الله (سبب) أنزله الله تعالى من أجله، (وحكمة) يدأب المفكرون على البحث عنها. وصار السؤال يطرح نفسه مع كل حكم شرعي: ما هي (الحكمة) من هذا الحكم الشرعي؟ وهذا (السبب) لا بد أن يكون خيراً، أي أن يكون لدفع مفسدة أو جلب مصلحة. لذلك كان (سبب) تحريم الخمر دفع مضارّه التي لا تُحصى، (وسبب) تحريم لحم الخنزير أيضاً دفع مضارّه، وهكذا.

وهذا المنهج في تلقّي الأحكام الشرعية خاطئ من ثلاثة وجوه:

الأول أن في ذلك إخبار عن الله تعالى أنه أنزل ذلك الحكم لسبب كذا مما لم يخبرنا به عز وجل . فمن أين لنا أن نقول إن الله تعالى حرّم الخمر لهذا السبب أو لذلك، أو لهذه الحكمة أو تلك؟ ومن أخبرنا أن الله تعالى فرض الصلاة لأن فيها رياضة للنفس كما يقول البعض؟ ولا يخفى أن في ذلك تجاوز وتماد.

الثاني: أن معظم الأحكام الشرعية في الفقه إنما هي خلافة، اختلف فيها الأئمة. فباستثناء بعض الأحكام القطعية التي وردت في القرآن أو في الحديث المتواتر مما كانت دلالاته قطعية، لم يتفق الفقهاء على أي حكم شرعي. فلو اعتبرنا أن سبب تحريم هذا الحكم هو كذا، فكيف نبرّر أن هناك حكماً شرعياً آخر استنبطه مجتهد آخر يخالف الحكم الأول؟ فكيف تكون (الحكمة) أو (السبب) حينذاك؟

صدمة كبيرة!

الثالث: وهو الأخطر، أن كثيراً من المسلمين فهموا الأمر على غير حقيقته. فإننا إذا قررنا أن لكل حكم (حكمة) وراءه، وأن هذه (الحكمة) لا بد وأن تكون لدفع مفسدة أو جلب مصلحة، ماذا نفعل لو أن الدليل الشرعي قضى بحكم شرعي غريب لا يمكن تصور حكمته؟ هل نرد ذلك الحكم لمجرد أننا لم نجد له (سبباً) أو (حكمة)؟

الواقع أن هذه النقطة قد سببت إشكالاً كبيراً عند المسلمين. فالمسلم الذي يتصور أن الإسلام إنما هو مجموعة مثاليات، هذا المسلم يصاب بصدمة لو أنه اطلع على حكم شرعي قال به بعض الفقهاء وليس فيه حكمة ظاهرة، وقد يؤدي به الأمر إلى القول: لا يعقل أن يكون ذلك من الإسلام، رافضاً كل الأدلة والاجتهادات!

وقضية عورة الأمة يجتجج بها كثيرون للدلالة على خطورة هذه النقطة. فالحكم المشهور هو أن عورة الأمة هي عورة الرجل (والتي اختلف الفقهاء بين أن تكون من السرة إلى الركبة أو أقل من ذلك)! فإذا كان المسلم يظن أن شرعة الحجاب للمرأة مثلاً، إنما كانت للسرة ولصون الأخلاق، فماذا يفعل بهذا الحكم.

ولعل علماء المسلمين الذين اشتغلوا بالبحث عن (الحكمة) وراء الأحكام الشرعية، كانوا على درجة من العلم والفهم، بحيث يأمنون من الوقوع في هذه المطبات. لكن عامة الناس، والذين اعتادوا على البحث عن (الحكمة) وراء الأحكام الشرعية لم يكونوا على وعي وبيّنة على مثل هذه الأمور، فلم يأمنوا مثل هذه الصدمات.

﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

أما وقد بيّنا خطأ هذا المنهج في تلقي الأحكام الشرعية، فلا بد لنا أن نعرض للمنهج الصحيح لتلقي مثل هذه الأحكام.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. ففي هذه الآية دلالة صريحة على ضرورة التسليم بما ورد عن النبي ﷺ من أحكام شرعية، أو بما جاء في كتاب الله. وعلى المسلم أن يسلم بالحكم الشرعي ما دام من عند الله (أو ما دام قد غلب على الظن أنه كذلك)، وحينذاك يجب أن لا يبقى في نفس المسلم أي حرج من تقبل هذا الحكم.

والمشهور عند العلماء أن كلمة (الإسلام) إنما أصلها من التسليم، لأن المسلم هو الذي يسلم بما جاء من عند الله تعالى. فالحكم الشرعي هو كذلك لأنه استنبط بالطرق الشرعية من النصوص، وليس لأي سبب آخر. وعلى المسلم التسليم به مهما تراءى له أنه غير صالح، ومهما صعّب عليه تقبله، ومهما خالف هواه.

مقياس الحُسن والقبح

والقاعدة الشرعية عند الفقهاء أن (الحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع). فما دام الحكم شرعياً فلا بد أن يكون حسناً، ولا بد أن يكون هناك حكمة يعلمها الله تعالى وراء هذا الحكم، أدركها العقل أم لم يدركها، أخبرنا بها الله تعالى أم لم يخبرنا بها وبذلك يُنظر في الحكم. فإذا كان قد ورد في القرآن الكريم أو جاء في سنة الرسول ﷺ، فإن الخير كل الخير في تطبيقه، وإذا لم يرد لم يكن كذلك وبذلك يكون الشرع مقياس الحُسن والقبح، وليس الواقع وملاءمة الحكم له.

ولذلك لا محل للعقل في الأحكام الشرعية إلا بمقدار ما يلزم لفهمها ولا يجوز مطلقاً أن نتخذ العقل حكماً في الأحكام الشرعية. وذلك عكس العقيدة، فإن المطلوب من المسلم أن يعمل عقله في الواقع ليتوصل إلى وجود الله، وإلى نبوة محمد ﷺ. لذلك، فإذا كان سبيل العقيدة هو العقل، فإن سبيل الشريعة الوحيد هو النقل عن محمد ﷺ. □

ردود ومناقشات

وقف مع كاتب

بقلم: أمين الخليلي

وأخيراً، تم للأستاذ فهمي هويدي ما أراد، واستطاع صياغة علاقة مع من يسميه بـ (الآخر)، "أكثر أمانة في التعبير عن نصوص الشريعة ومقصودها، وأكثر استجابة للغة (العصر) في الخطاب الإنساني والسياسي"، فيما يقول.

ويبدو أن الأستاذ هويدي قد أعجبه قضية (مقاصد الشريعة) فحملها على غير معناها. لذلك نجد في كثير من المناسبات يستنتج مقاصد الشريعة، وهي عبارة عن خطوط عريضة تعطيه حرية واسعة للمناورة - ثم يعتمد استنتاجاته أدلة على ما يريد قوله. وبذلك عكس الأستاذ هويدي عملية الاستدلال بالإسلام: بدلاً من أن يستقري النصوص ليفهم الأحكام، إذا به يضع النتائج أولاً ثم ينحدر إلى النصوص ليبحث لها عن قرائن!

ونضع ههنا أمام القارئ الكريم هذا التعليق على كتابات الأستاذ فهمي هويدي، وقصدنا التنبيه إلى منزلقات كبيرة ومهمة وقع فيها، ونرجو من الله أن لا يوقع فيها أحداً غيره. فالأستاذ هويدي يتعامل في كتاباته مع الخطوط العريضة والأحكام العامة للإسلام، ويحاول أن يبيّن الاستراتيجيات والعلاقات والقواعد الشاملة، وفي مثل هذه الحال، يصبح أدنى خطأ في الاستدلال انحرافاً كبيراً.

تعليق مختصر!

تعرض الأستاذ فهمي هويدي في باب (للمناقشة) بمجلة (العربي) الكويتية لموضوع علاقة المسلمين مع غير المسلمين في ضوء أحكام الإسلام في سلسلة مقالات سماها (إشكالية الآخر في التفكير الإسلامي). وقد كان لهذه السلسلة حتى الآن ثلاث حلقات، وضعها في أعداد (سبتمبر) و(أكتوبر) و(نوفمبر) لسنة ١٩٨٧. وقد ذكر أن هدفه هو وضع الخطوط العريضة لعلاقة المسلمين مع غيرهم.

ولسنا هنا في معرض الرد التفصيلي على جميع ما جاء في كتابات الأستاذ فهمي هويدي، لأن ذلك يحتاج إلى صفحاتٍ طوالٍ تستعرض ما استند إليه من أقوال في بحثه، وتفنلها واحداً واحداً، لكن هذه المجلة لا تحتل مثل هذه

المناقشات الطويلة. لذلك سنكتفي بتعليق مختصر على أبرز ما جاء في مقالات الأستاذ، لنبين حقيقة الأمر، والله من وراء القصد. ويستطيع القارئ الرجوع إلى كتابات الأستاذ فهمي هويدي، وحينذاك يحكم بنفسه عليها.

لأنه أرادنا مختلفين!

كان أبرز ما توصل إليه الأستاذ هويدي نقاط ثلاث:

الأولى: قوله إن الفقه الإسلامي كان في جميع مراحل "مرآة عاكسة لظروف الزمان"، بمعنى أن الفقهاء المسلمين على مر العصور إنما تأثروا إلى حد كبير بانفعالاتهم تجاه ما حصل في عصرهم. لذلك يدعو إلى تجاوز اجتهادات المجتهدين المسلمة بين على مر العصور، وإلى ردّ البحث إلى الكتاب والسنة. وههنا يركّز الأستاذ هويدي على أن الواقع الدولي اليوم يختلف عنه في السابق، بمعنى أن الأحكام التي جاء بها الفقهاء لا تصلح لزماننا. وقد استخلص الأستاذ أن الأحكام التي استنبطها الفقهاء في التاريخ الإسلامي، خصوصاً تلك التي تتعلق بمعاملة الذميين والحريين من غير المسلمين لا يمكن الأخذ بها، لأن الواقع الدولي قد تغير، ولأن هذه الأحكام إنما جاءت في مراحل تاريخية معينة كان فيها الفقهاء منفعلين من تصرفات الكفار، مثل أفعال المغول والصليبيين ومن آزرهم من نصارى ويهود المشرق.

الثانية: قوله "إن الله تعالى أرادنا مختلفين (أي الناس) لحكمة قصدها العليم الخبير"، وكأن الله تعالى أراد البشر أن يكون منهم المؤمن ومنهم الكافر. وهذا الواقع، يضيف الأستاذ، "لا ينبغي أن يكون محل استغرابنا أو إنكارنا، بل علينا أن نقبل هذا الوضع ونتعامل معه على أنه حقيقة واقعة". ويستطرد الكاتب إلى أن هذا الفهم يحتم علينا احترام رأي الآخرين (غير المسلمين)، لأن "نهج الإسلام واضح في خطاب الجميع، وهو يقوم في الأساس على أمرين: الاحترام والإقناع". واستشهد الأستاذ بالآية الكريمة: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾.

الثالثة: وهي الأهم والأخطر، قوله أن الإسلام دفاعي لا هجومي. فالأستاذ يفهم أن سبيل الدعوة إلى الإسلام هو الجدل الهادئ والإقناع، "والمسالمة والتعاون على البر وخطاب العقل والضمير، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وبعد ذلك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، بنص القرآن الكريم، وحساب الجميع على الله سبحانه يوم يلقونه. أما القتال والسيوف، فهو في منهج الرسالة سبيل إلى ردّ العدوان وصد الفتنة، وليس أسلوباً في التبليغ والدعوة". وقد أورد الأستاذ آراء عديدة في هذا السياق، أهمها رأيان: الأول للشيخ محمد عبده في تفسير (المنار)، والثاني للشيخ محمد الغزالي في كتابه الذي صدر مؤخراً (جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج).

قواعد خطيرة!

وبذلك أصبح للإسلام عند الأستاذ فهمي هويدي منهج هادئ في الدعوة والتبليغ، بحيث يكون التعامل مع الكفار مبنياً على الإقناع الهادئ، والاحترام المتبادل. وقد لا يستغرب القارئ مثل هذه الأقوال، ولا يفتن إلى حقيقة الأمر فيها، والهدف المقصود من وراء الدعوة إليها، كما أنه قد لا يدرك للوهلة الأولى أبعادها ومراميتها، وما يترتب عليها.

وهي على الإجمال قواعد خطيرة على الإسلام، وتفترى على الإسلام وأهله، وتتجاوز ألفاً ومايتي سنة من تاريخ الأمة الإسلامية مرت على الدعوة إلى الإسلام.

إنها دعوة لتحديث الإسلام وتحديثه، بحيث يوافق متطلبات العصر الجديد، ويلائم الوضع الدولي القائم اليوم. ولعل الدعوة إلى ترك المبادأة بالقتال لدول الكفر أخطر هذه الدعوات، وأكثرها ملاءمة للواقع الدولي القائم اليوم. وقد ذكر الأستاذ هويدي أن أحكام الفقهاء المسلمين المتعلقة بالجهاد إنما أفرزتها تجربة تاريخية مضت ولم يعد لها وجود، "سواء عندما كانت الدولة الإسلامية هي صاحبة اليد العليا، أو عندما كانت العلاقات الدولية قائمة على أساس فكرة الغلب والمغلوب، أو المنتصر في الحرب أو المهزوم".

المسلمون والواقع الدولي

لقد نسي هويدي أن المسلمين هم الذين يجب أن يفرضوا الواقع الدولي كما أمر به الله عز وجل، وأن الإسلام صالح لكل عصر ولكل زمان، فأما الواقع الدولي القائم اليوم، والذي يتحدث عنه الأستاذ فالكل يعلم أنه صنعة الدول الصليبية الكافرة، وضعته لتكسب استعمارها لدول العالم. وقد كان الشرط الذي وضعتته الدول الأوروبية النصرانية على دولة الخلافة العثمانية في القرن الماضي، عندما أرادت الدخول في المجموعة الدولية، هو عدم جعل الإسلام أساساً للعلاقات الخارجية، ليتمكنوا من جعل المبدأ الرأسمالي أساساً للعلاقات الدولية ويستبعدوا الإسلام من الساحة الدولية. أهكذا تريد تغيير الإسلام يا أستاذ، ليتماشى مع إرادة الدول النصرانية، بحجة ما تسميه الواقع الدولي؟

تجربة عائدة

وهل كون الدولة الإسلامية في ما مضى من التاريخ صاحبة اليد العليا في علاقات الدول، هل هذا تجربة تاريخية مضت ولم يعد لها وجود؟ كلا يا أستاذ، إنها تجربة امتلأت بها جوانب التاريخ في اثني عشر قرناً، وستعود إن شاء الله. ومثل ذلك الواقع الدولي يجب أن يعود اليوم، بحيث يكون الإسلام أساساً للعلاقات الدولية، بدلاً من منطق الاستعمار والاستغلال وشريعة الغاب، مستتراً بحقوق الشعوب في تقرير المصير، وتجريات كاذبة واحترام متبادل مزعوم. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾، لإسلام سيغلب إن شاء الله، وسيكون وحده أساس العلاقات الدولية، فضلاً عن أن يكون العالم كله دولة واحدة تحكم بشرع الله تعالى.

أنت لا تصدق ذلك يا أستاذ، والدليل أنك تريد الركون لهذا الواقع الدولي الشاذ، وتريد تبديل الإسلام وتغيير قواعده العامة حتى يلائم هذا الواقع. أما نحن فموقفون تمام اليقين أن الإسلام، وبمنطق عصوره الأولى، سينتصر لا محالة كما وعدنا الله تعالى.

ولعل هذه السطور لا تكفي لتفنيد قول الأستاذ، لكننا كما ذكرنا لسنا في معرض استعراض ما استند إليه من أقوال لبعض المتأخرين من العلماء، وخصوصاً الشيخ محمد عبده والشيخ محمد الغزالي، كما لا يسعنا أن نستعرض الآيات التي قال إلهتؤيد صد صحة دعواه، إنما سنترك ذلك للأعداد القادمة إن شاء الله. وإنما أحببنا هنا أن يكون لنا وقفة مع هذا

الكاتب المعاصر نستوقفه قبل أن يتمادى في مثل هذه الأبحاث. ولم نشأ أن تمضي مثل هذه الأفكار دون أن نتصلى لها، ودون أن يكون لنا معها محطة، نثير فيها بعض التساؤلات.

مصدر جديد للشرع!

إن الحكم الشرعي يُستنبط من أدلته التفصيلية باجتهاد صحيح يبين وجه دلالة النص على الحكم المستنبط. وهذا ما سار عليه الفقهاء المسلمون في التاريخ الإسلامي. ولسنا هنا في معرض الدفاع عن أقوال بعض الفقهاء ومناقشة صحتها، إنما ما نريد قوله هو أن الحكم الشرعي سبيله واحد: وهو الدليل الشرعي. أما ما تفضلتم به يا حضرة الأستاذ من أن الحكم يفهم من منطق عصره، ولا يصح الأخذ به إذا كان لا يلائم العصر، فأمر يدعو للعجب. هل أصبح الواقع الدولي والعصر مصدراً من مصادر التشريع، أم تراك ترديد لي عنق الإسلام ليوافق ما يتطلبه العصر وما يريده بعض (المفكرين) المعاصرين؟

إن رد الأحكام الشرعية أو الأخذ بها يكون بقوة الدليل، وليس بملاءمة الحكم للواقع أو عدم ملاءمته. والأصل هو التسليم لأوامر الله ونواهيه، وتطويع الواقع ليلائم حكم الله، وليس العكس.

تجديد الإسلام

ولقد سمعنا كثيراً من هذه الدعوات، وكلها تصب في هدف واحد: الدعوة إلى تجديد الإسلام ليوافق متطلبات العصر الجديد، لأن الإسلام، كما يدعو البعض، كان في تاريخه دائماً مرآة للواقع، ولأن الفقهاء أعطوا أحكامهم بمنطق عصرهم. فلا يمكن الأخذ بالأحكام الشرعية التي استنبطها فقهاء المسلمين، بل لا بد من عملية تجديد شاملة تتناول الأصول قبل الفروع.

لقد أصبح الإسلام تباعاً للواقع الذي يصنعه الكفار وأعداء الإسلام، فأين هذا من التسليم والرضوخ لأوامر الله ونواهيه؟

وليس من قبيل المصادفة أنك في بحثك أيها الأستاذ، تستند إلى رأي الشيخ محمد عبده. والشيخ عبده كان أول الداعين إلى تجديد الإسلام وتحديثه ليلائم متطلبات العصر. وقد جاء على صفحات مجلة (الوعي) في الأعداد ٤ و ٥ لشهري ذي الحجة ومحرم الماضيين سرد وتقييم لسيرة الشيخ محمد عبده ودعوته (المجلدة)، ولن أزيد عليها في هذا الجانب.

هذه نقطة من النقاط الرئيسية الثلاث، وسنستعرض في الأعداد القادمة إن شاء الله باقي ما جاء في أبحاث

المفكر الأستاذ فهمي هويدي □

تفسير القرآن الكريم وسيلة لنشر أفكار مشبوهة

ظهر في هذا القرن وفي أواخر القرن الماضي تفاسير غير موثوقة لما ورد فيها من أفكار خطيرة تخالف صراحة ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه. لذلك فإنها لا تعد من التفاسير ولا يوثق بها، لأن فيها جرأة على دين الله. ومن هذه التفاسير تفسير محمد عبده المعروف بتفسير (المنار) (والذي جمعه تلميذه محمد رشيد رضا)، وتفسير طنطاوي جوهري، وتفسير أحمد مصطفى المراغي وغيرهم.

ومن أمثلة ما جاء في هذه التفاسير من جرأة على دين الله تفسير محمد عبده الآية: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُضْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ فَإِنَّ أَجْرَ لَأَهْلِ الْاَلَمِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَخَذَ الْقَوَانِينِ الْاِنْجِلِيزِيَّةِ، وَخُضِعَ لِأَحْكَامِ الْقَضَاةِ الْاِنْجِلِيزِ.

جاء في الجزء السادس من تفسير المنار عند تفسير هذه الآية من سورة المائدة (ص ٢٠٦) عندما سئل: أيجوز للمسلم المستخدم عند الإنجليز الحكم بالقوانين الإنجليزية، وفيها الحكم بغير ما أنزل الله؟ فأجاب بحجاب طويل منه ما نصه: "وجملة القول أن دار الحرب ليست محلاً لإقامة أحكام الإسلام، ولذلك تجب الهجرة منها إلا لعذر أو مصلحة للمسلمين يؤمن معها من الفتنة في الدين، وعلى من أقام أن يخدم المسلمين بقدر طاقته ويقوي أحكام الإسلام بقدر استطاعته. ولا وسيلة لتقوية نفوذ الإسلام وحفظ مصلحة المسلمين مثل تقلد أعمال الحكومة، ولا سيما إذا كانت الحكومة متساهلة قريبة من العدل بين جميع الأمم والمثل مثل الحكومة الإنجليزية. والمعروف أن قوانين هذه الدولة أقرب إلى الشريعة الإسلامية من غيرها، لأنها تفوض أكثر الأمور إلى اجتهاد القضاة...".

أما طنطاوي جوهري، فقد تجاوز كل الأحكام الموجودة في القرآن، وتناول ما وجدته في القرآن من العلوم والمعارف، بل وملاً تفسيره بالصور للحيوانات والطيور للدلالة على أن القرآن يتيناها.

أما مصطفى زيد، فقد أنكر في تفسيره وجود الملائكة والشياطين، وأول ذلك فكنر بتفسيره هذا، وخرج على الإسلام.

فالخذر الخذر من مثل هذه التفاسير، لأن أصحابها - كما يبدو - قد اتخذوا القرآن الكريم - كلام الله - مطية

لنشر أفكارهم المشبوهة □

الطريقة لازمة وُطْرمة

بقلم: عبد الرحمن أبو الهيجا

يعيش الإنسان في هذه الدنيا مع غيره من الناس، ويتبادل معهم المصالح ويقيم معهم العلاقات، فلا بد من تنظيم هذه العلاقات: اقتصادية كانت أو سياسية أو اجتماعية وهذا النظام إذا لم يكن قابلاً للتطبيق، مشتملاً على طريقة لتنفيذه، كان فلسفة خيالية تبقى في بطون الكتب. فما هو النظام الأفضل لتنظيم علاقات الناس؟ وما هو السبيل لوضع هذا التنظيم موضع التنفيذ؟ وما هي الطريقة المناسبة لذلك؟

كيف نعيش؟

يشترك الناس في حياتهم في كثير من المصالح العامة، كما يتبادلون فيما بينهم كثيراً من المصالح الخاصة. وهذه المصالح - وهي ليست بالضرورة مصالح مادية - لا بد لها من تنظيم. ومن هنا تبدوا الحاجة ماسة لمبدأ يعتنقه الناس ويسرون عليه.

والمبدأ مجموعة من الأفكار الكلية والجزئية والتكميلية. فالأفكار الكلية هي النظرة إلى الكون والإنسان والحياة وهي العقيدة التي تجيب على الأسئلة: من أين أتينا؟ ولماذا وكيف نعيش؟ وإلى أين المصير؟ والإجابة عليها تبين لنا كيف يجب أن نعيش.

والأفكار الجزئية تنبثق عن تلك العقيدة، وتتضمن معالجات ونظماً لعلاقات الناس. وأما الأفكار التكميلية فهي الطريقة، وهي الأحكام التي لا تُقصد لذاتها، وإنما لتكتمل غيرها من الأفكار. فلا بد من الطريقة لبيان كيفية حمل المبدأ أو الدعوة إليه، وكيفية المحافظة عليه، وكيفية تنفيذ النظم والقوانين.

فلسفة خيالية!

فالأفكار إن كان ينقصها طريقة عملية فإنها تغدو خيالاً يحلم به شخص أو أشخاص لا يحملونها على محمل الجد ليدعوا الناس إليها، وذلك مثل جمهورية أفلاطون التي افترض فيها أن هناك بلداً يحكمها الأذكاء، ويدافع عنها الشجعان، ويعمل فيها الصبورون كالعيد... لكنه لم يبين كيفية الوصول إلى ذلك في الواقع العملي، فغدت ترفاً فكرياً لا طائل تحته إلا اللهو والتسلّي ومضيعة العمر في الأحلام: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٤٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيَهُمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾.

من هنا نصل إلى الحقيقة التالية: الطريقة لازمة لأي فكر حتى يصير مبدءاً يمكن تطبيقه على الناس وتنظيمهم به. وهذه الطريقة لا يعقل أن تكون كيفية، بمعنى أن تكون متروكة للآراء ولواقع الحال، بل لا بد أن تكون من جنس الفكرة والمبدء.

والإسلام دين أنزله الله سبحانه ليسير عليه الناس في الدنيا، ويكون فيه خيرهم في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿فَإِنَّا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ هَدَىٰ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٠٥﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾. فإذا رده الناس خسروا الدنيا والآخرة، كما يفعلون اليوم.

فرض على الكفاية

وقد سار رسول الله ﷺ في خطوات متتابعة لبناء الدولة الإسلامية التي تطبق مبدأ الإسلام ونظمه وأحكامه، حتى وصل إلى سلّة الحكم عشية مبايعة أهل الخل والعقد في المدينة - أي زعماء الناس ورؤسائهم - على النصره ضدّ بقية الكيانات الكافرة، وعلى السمع والطاعة. جاء في حديث عبادة بن الصامت: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنّشط والمكروه وعلى أثره على أنفسنا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم فيه من الله برهان». وأهل الأمر هنا هم الخلفاء والولاة والأمراء.

ولا يخالف أحد من المسلمين في أن نصب خليفة ومبايعته واجب، وأنه فرض على الكفاية، فإذا أقامه البعض سقط عن الآخرين، وإذا لم يقم لا يسقط عن أحد من المسلمين إلا من عمل منهم لإقامته. وهكذا كل فرض على الكفاية، يصبح فرض عين حتى يقوم، أو يرجح عند سائر المسلمين أن من يعمل على أدائه يستطيع أن يقيمه، وذلك مثل صلاة الجنازة والجهاد والعلم، فكلها فروض كفاية. فلو فرضنا أن المسلمين الآن يرجحون أن مسلمي فلسطين قادرون على قهر اليهود ودحرهم فلهم القعود عن الجهاد معهم، وإذا رجح لديهم العكس وجب عليهم الانضمام لهم في الجهاد، وإلا أثموا جميعاً. وما يصح على فلسطين يصح على جميع بلاد المسلمين التي يحتلها الكفار، من القرم إلى يوغوسلافيا ومن الأندلس إلى الهند وأفغان... الخ.

وأما طريقة إقامة الدولة الإسلامية فهي حكم شرعي كسائر الأحكام. والمسلمون اليوم منهم العاملون لإقامة الدولة الإسلامية ومنهم القاعدون، وقد قال رسول الله ﷺ: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية». والعاملون اليوم لم يستطيعوا أن ينصبوا خليفة ويؤدوا هذا الفرض منذ العام ١٩٢٤، ولذلك يأثم القاعدون بتركهم القيام بهذا الفرض، أسوة بسائر الفروض التي أمر الله تعالى بها كالصلاة والصوم وغيرها.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾!

ومن القاعدين من يحذر لنفسه بأنه لا يستطيع ذلك، ويستد في ذلك إلى أدلة شرعية مثل قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وقوله ﷺ: «لا ينبغي لامرئ مسلم أن يذل نفسه. قالوا: وكيف يذل نفسه يا رسول الله؟ قال: يعرض نفسه من البلاد لما لا يطيق». ومثل هذا يقول أنه عالم يعلم الناس الإسلام، ولا يعتني بالسياسة، ولا يعمل حزباً سياسياً أو تنظيمياً.

أما الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ الْمَصِيرُ﴾ لا يكلف الله نفساً إلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ، فهذا نص على أن الله تعالى لا يكلف أعمالاً إلا وهي في وُسْع المكلف، وفي مقتضى إدراكه وبيته، وهذا عكس المعنى الذي أُلح إليه العالم.

والحديث الشريف يؤدّي نفس المعنى إذ يقول: «يكلف نفسه»، وهذا خلاف أن يكلفه الله تعالى. ومثل ذلك أن ثلاثة من الصحابة تنافسوا في العبادة، فكان أحدهم يصوم أبداً، والثاني يقوم الليل أبداً، والثالث لا يتزوج النساء أبداً. فجاءوا بيت رسول الله ﷺ وسألوا زوجه عن عبادته، فلما ذكرتها لهم فكأنهم تقالوها وقالوا: أين نحن من رسول الله، فقد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك غضب وخطب في الناس وقال: «أما والله إني لأتقاكم لله، وإني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

(حزب الرسول)

وأما السياسة فهي رعاية شؤون الناس، ونصب الخليفة عمل سياسي، إذ ما دور الخليفة إذا لم يكن رعاية لشؤون الناس بالحق؟ وقد قال ﷺ: «من أصح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم». وقد رعى رسول الله ﷺ أمته طول حياته، ورعاهم الخلفاء من بعده. وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن الله سائلهم - أي الخلفاء - عما استرعاهم. ثم لماذا العلم إذا لم يكن للعمل به؟!

وأما أنه لم يشكل حزباً أو تنظيمياً لنصب الخليفة، فالله سبحانه يقول: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَصُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾. وقد روى أبو داود والترمذي أن أبا بكر خطب بالناس فقال: إنكم تفرّون هذه الآية فتتأولونها على غير تأويلها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعداب من عنده»، وهذا وصف للعمل الجماعي الحزبي المطلوب منا لنؤدي فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بِيَانًا مَرْصُومًا﴾. وهذا أحد أفراد (حزب الرسول ﷺ) مصعب بن عمير رضي الله عنه، فتح الله على يديه المدينة، وأقام صرح الدولة الإسلامية الأولى. وهذا أبو بكر رضي الله عنه هدى الله على يديه كثيراً من الصحابة رضوان الله عليهم، منهم أبو عبيدة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم.

وينبغي التفريق بين فرض نصب الخليفة وفرض العلم، فكلاهما فرض على الكفاية ولا يجزئ أحدهما عن الآخر، كما لا تجزئ الصلاة عن الصوم، فالمطلوب من المكلف كلاهما.

ماض إلى يوم القيامة

ومن العاملين من يرى الجهاد طريقة لإقامة الدولة الإسلامية. مع أن الجهاد قتال الكفار بالنفوس والمال واللسان لضم بلادهم إلى بلاد المسلمين وفتح أبوابها أمام نور الإسلام، وكسر الحواجز المادية التي تحول دون حكم الناس بالعدل (وهو الإسلام)، وتحويل دارهم بذلك إلى دار إسلام، أو دفاعاً عن دار الإسلام كما فعل الرسول ﷺ وأصحابه في غزوة الأحزاب، وكما يمكن أن يفعل المسلمون اليوم من قتال اليهود وغيرهم على ألا يتولوا الكافرين المستكبرين، لذلك، ورغم أن الجهاد فرض، ورغم أنه ماضٍ إلى قيام الساعة لا يعطله عدل عادل ولا جور جائر، فإنه فرض آخر غير فرض نصب الخليفة الذي هو عمل يهدف لتغيير النظام الحاكم على المسلمين من نظام كفر إلى نظام إسلام بغض النظر عن شخص الحاكم، فهذا ليس عملاً شخصياً موجهاً ضد بعض الأشخاص، وإنما هو عمل تغيير القوانين والأنظمة المأخوذة من عقول البشر بقوانين وأنظمة مأخوذة من الشرع، كما فعل رسول الله ﷺ في المدينة، حيث كانت تحتكم للطاغوت، ولما بايعوه صارت دولة إسلامية يحكمها الإسلام. ولما مات رسول الله ﷺ ثابرت خلفاؤه من بعده على أخذ البيعة ممن يمثلون الأمة على أن يحكموهم بالإسلام. ولا يوجد اليوم في العالم بلد يأخذ نظامه كله من الإسلام على أي من المذاهب الإسلامية، ولو ادعى بعضهم ذلك فهم يخلطون بين الإسلام وغيره. والنظم الإسلامية والأحكام الشرعية تؤخذ من آراء الفقهاء والمجتهدين كالشافعي ومالك وأبي حنيفة وجعفر وزيد وابن حنبل وغيرهم، أو تؤخذ بدليلها باجتهاد صحيح. لذا يجب نصب خليفة يحكم المسلمين بما أنزل الله لا بما في الدستور الأميركي أو الفرنسي، ولا بشرعة هيئة الأمم أو الاشتراكية العلمية أو الدولية.

فالجهاد إذن عمل تقوم به الدولة الإسلامية ابتداءً أو المسلمون دون إذن إمام (في حالة دفع الكفار)، وهذا غير نصب خليفة على المسلمين.

الدفاع عن الدعوة

ومن العاملين من يقول إذا تعرضت جماعتنا وهي تعمل لنصب خليفة للأذى من قبل الحكام، فلنا أن ندافع عن أنفسنا ونقاتل ونقتل من اعتدى علينا؛ واعتمدوا على أحاديث منها: «من مات دون نفسه فهو شهيد». وهذه الأحاديث موجودة في كتب الفقه في باب دفع الصائل، وقد وردت لترخص للناس أن يدفعوا الصائل على النفس

والعرض والمال، ولو أذى ذلك إلى قتله. والصائل من سفلة الناس والسارقين الذين يمتنون القتل والسلب والنهب، وهؤلاء غير السلطان الذي يقول فيه تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾. فمن يقصد العلو والفساد كفرعون في الماضي هم الحكام للتسلطون اليوم، وهم غير الذي يقصد الفساد وحده، وهم سفلة الناس الذين لا يريدون الاستعلاء.

والدفاع عن النفس غير الدفاع عن الدعوة، فالسلطة لا تقصد حملة الدعوة لأشخاصهم ولكن لأنهم يحملون دعوة الإسلام، ولذلك لا يصلح هذا الدليل ليأخذوا منه حكماً شرعياً يأذن لهم بقتال الحاكم الظالم، بل على العكس من ذلك فقد واجه الرسول ﷺ وأصحابه الأذى في مكة وقيل قيام اللول بالصبر والتحمل ورخص للضعفاء منهم بالمهجرة إلى الحبشة ولم يؤمرا بالقتال.

تحكيم للعقل

ولما كان الإسلام كاملاً تاماً: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فلا يصلح قول بعض العاملين أن واقعنا غير واقع الرسول ﷺ، ولذلك نجهد بعقلنا لما يناسب هذا الواقع. فالاختلاف في الواقع لا يكون في الفكرة والطريقة، ولكن في الوسائل والحوادث المتجددة، فقد كان الناس يسافرون على الجمال أو مشياً، وهم الآن يسافرون على متون الطائرات والسيارات، والله يعلم ذلك فعلمه محيط، وقد قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، وقد أخذ الفقهاء من ذلك أن الأصل في الأشياء الإباحة إلا إذا ورد دليل على التحريم، أما الحوادث والأعمال فالأصل فيها التقيد بالحكم الشرعي. وليس في الإسلام اجتهاد عقلي، فالاجتهاد: بذل الجهد في معرفة الأحكام الشرعية للمسائل العملية من الأدلة التفصيلية، والحكم الشرعي: خطاب الشارع المتعلق بأفعال العباد، وخطاب الشارع يؤخذ من الأدلة الشرعية وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وما أرشدا إليه من إجماع الصحابة والقياس. وإصدار الأحكام بناءً على العقل وحده هو تحكيم للعقل وليس للشرع، وهو لا يختلف عن عمل الكفار إذ يفعلون ما يرونه مناسباً، ولا يحمل معنى الإسلام الذي هو الطاعة والالتقياد لله، والطاعة امتثال للأمر الذي أمر الله به: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾، ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي بغير دليل من الشرع يدل عليه: ﴿وَلَقِينَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. فالتحسين والتقيح أمر متروك للشرع: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ والخير ليس ما يختاره الإنسان ويميل إليه، بل ما يختاره الشارع والخير والشر أو الحسن والقبح أو النفع والضرر أو الصلاح والفساد عند المسلم هو ما يدل الدليل الشرعي عليه، لا ما يميل إليه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. وقد قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»، أي مردود غير مقبول، وما جاء به إنسان من عقله حسب ميوله ورغباته غير ما جاء به الشرع، فلا بد من دليل على أنه جاء به الشرع. ولا يشتهر هذا بما ورد في الحديث: «من سنَّ سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، لا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سنَّ سنةً سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً». فالسنة العمل الذي يتبعه ويقلده الآخرون، فإن كانت حسنة فلا بد من دليل من الشرع يدل على أنها حسنة، والسيئة كذلك تحتاج إلى دليل، ولذلك قال ﷺ: «إن على ابن آدم الأول كفلًا من جريمة كل قاتل إلى يوم القيامة»، فهذه سنة سيئة لأن الله حرم القتل في كتابه. وسبب الحديث الأول يبيِّن ذلك، فقد جاء بعض الناس إلى الرسول ﷺ في المسجد حباً في دخول الإسلام، وكانوا يرتدون أسمالاً بالية تُظهر عربيتهم، فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى بيته وجمع ما عنده من ثياب

ووضعها أمامهم في المسجد، ففطن الصحابة لذلك ففعلوا مثله، فقال ﷺ: «من سنَّ سنةً حسنة...» الحديث. وهذا من عمل الصدقة التي ينتصب لها كثير من الأدلة.

(الغاية تبرر الوسطة)!

ومن العاملين من يقاتل مع فئة باغية ضدَّ فئة باغية لأنه يرى في ذلك مصداقية للمسلمين، حيث يقوم بأعمال تجعل الناس تلتف حوله ولا يكتفي بالكلام. وهذا النوع يستعمل (الغاية تبرر الوسطة) وهي القاعدة الغربية التي جاء بها (ميكافيللي) - سيئ الذكر - وهو يقوم بعمل مبني على رأيه وظنِّه ولا يدعم كلامه بدليل. مع أن الدليل يدل على عكس ذلك تماماً، حيث يقول تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نُدَيْبٍ﴾ والآية عامة في كل من يبغى، فلو كان الباغية فئة واحدة أو اثنين أو عشرة، وجب على المسلمين قتالهم جميعاً وإن قاتلوا مع إحداها فإنهم يقاتلون فعلاً مع البغاة لا ضلَّهم، كما طلب الله سبحانه وتعالى، وهذا عملٌ حرامٌ.

بقيت طريقة واحدة لإقامة الدولة، وهي التي سار عليها رسول الله ﷺ، قدوتنا بوحى من الله تعالى، وهي ابتداءه بالدعوة، ثم إعلان ذلك لكسب الرأي العام وتغيير مفاهيم وقناعات المجتمع، ثم طلب المنعة من أهل الحل والعقد من المسلمين كما فعل مع أهل يثرب فأووه ونصروه وأقاموا دولة الإسلام الأولى.

وهذه الطريقة ملزمة للمسلمين لأنها حكم شرعي مأخوذ باجتهاد شرعي، فليبادروا إلى مرضاة الله سبحانه بتنفيذ أمره، ويتبينوا كيف لهم أن يؤدوا هذا الفرض، ولا يخلطون بينه وبين سائر الفروض المطلوبة الأخرى والحمد لله من قبل ومن بعد □

مؤتمر القمّة في عمّان

بين ٨ و ١١ من تشرين الثاني ١٩٨٧ انعقد في عمان مؤتمر قمة عربي، حضره رؤساء البلاد العربية أو من ينوب عنهم. وأعلنوا أن المؤتمر كان ناجحاً. وحين يجتمع قادة البلاد، أية بلاد يكون المنتظر منهم أن يبحثوا قضاياها ويحلّوها كلها، وأن يُولوا اهتماماً أكبر للقضايا الأخطر فتعالوا نُلِقَ نظرةً على المسائل التي بحثوها.

لقد بحثوا في الحرب بين إيران والعراق وفي تشعباتها. وبحثوا موضوع المؤتمر الدولي لإيجاد الصلح بين اليهود والعرب. وبحثوا في إعادة علاقاتهم مع مصر وعودة مصر إلى الجامعة العربية. وبحثوا في مسألة لبنان. وبحثوا أموراً تركوها سرية.

هل تعرضوا للقضية الكبرى للأمة، القضية الأساس؟

العرب جزء من الأمة الإسلامية، والبلاد العربية جزء من البلاد الإسلامية.

قضية الأمة الإسلامية بدأت قبل ما يسمونها حرب الخليج، وقبل سقوط القدس في يد اليهود، سنة ١٩٦٧، وقبل سقوط فلسطين سنة ١٩٤٨.

القضية الكبرى للأمة الإسلامية بدأت حين استطاع الكفار أن يسقطوا القرآن الكريم من يد الأمة الإسلامية، حين استطاع الكفار أن يهدموا الخلافة الإسلامية التي كانت تضم شمل المسلمين، حين استطاع الكفار أن يمزقوا البلاد إلى أوطان والأمة إلى قوميات، حين استطاع الكفار أن يحولوا دون عودة المسلمين لحمل الإسلام، ودون عودة الإسلام إلى معتك الحياة الدولية.

هذه هي قضية الأمة، وما عداها هو مسائل فرعية. ومن السفاهة أن نتوقف عند الفروع ونحمل الأصل الذي أنبت هذه الفروع.

لقد قرأنا البيان الصادر عن المؤتمر والقرارات التي اتخذها المؤتمر. لم نجد ذكراً للإسلام أو القرآن أو السنة، ونحن نقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾.

لم نجد في بيانهم ومقرراتهم أدنى حذير تجاه عدوهم الكافر المستعمر الذي هدم الخلافة، وحارب الإسلام، ومزّق البلاد والعياد، وما زال يثير العدوات بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضاً، بل على عكس ذلك نجدهم يرتمون في أحضان هذا العدو الكافر المستعمر، والله يقول: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾.

وجدنا في بيانهم أنهم يدعون إلى التمسك بميثاق جامعة الدول العربية، وميثاق التضامن العربي، ومعاملة الدفاع المشترك. أي هم يدعون إلى بقاء اثنتين وعشرين دولة عربية، بدل أن يدعوا إلى دمجها في دولة واحدة.

ووجدنا في بيانهم: "أيّد القادة عقد المؤتمر الدولي للسلام... باعتباره الوسيلة الوحيدة لتسوية سلمية عادلة وشاملة"، أي هم تخلّوا عن الحرب ووضعوا قضية فلسطين وما احتلته إسرائيل حولها ليس بيد الأمة الإسلامية، بل بيد دول مجلس الأمن الدائمة وبيد هيئة الأمم المتحدة، أي بيد العدو، كمن يوكل الذئب بالغنم.

ووجدنا في قراراتهم تأكيداً على قرارات قمة فاس ١٩٨٢. والمعلوم أن قمة فاس قررت أن ما احتلته إسرائيل قبل سنة ١٩٦٧ يعتبر حدوداً دولية لها شرط أن تعطي أهل فلسطين تعويضات عن أملاكهم، وأن ما احتلته إسرائيل سنة ١٩٦٧، يجب أن يخضع للتفاوض.

ووجدنا في قراراتهم أنهم رفعوا الحظر عن إعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر. ونسألهم: هل كنتم مخطئين حين قطعتم هذه العلاقات؟ أو أن سبب القطع قد زال؟ أو أنكم كنتم تقومون بإخراج تمثيلية أمام شعوبكم؟

ووجدنا في بيانهم قولهم: "والتفت كلمتهم على أن التضامن العربي هو السبيل الوحيد لتحقيق كرامة الأمة العربية وعزّتها"، وهم يعنون بالتضامن ليس الوحدة بل التفاهم مع بقاء اثنتين وعشرين دولة. والكرامة لا تكون بمثل هذا التضامن (التجزئة)، بل الكرامة تكون بتقوى الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، والعزة تكون مع الإيمان: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ووجدنا في بيانهم قولهم: "انطلاقاً من مبادئ القومية العربية" علماً أن الإسلام نقل الناس من رابطة القومية والعصبية إلى رابطة الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَدُّوا أَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المسلم أخو المسلم» وقال عن دعوى القومية: «دعوها فإنها مسته».

ووجدنا في بيانهم: "ودعا الدول الأعضاء إلى تكثيف الحوار مع حاضرة الفاتيكان" أي من أجل مدينة القدس. والمعلوم أن الفاتيكان والدول الغربية تحاول جعل القدس تخضع لإدارة دولية، أي يريدون أن يحققوا الآن ما عجزت الحملات الصليبية عن تحقيقه، وهؤلاء القادة العرب يدعون إلى ترتيب الأمور مع الفاتيكان، أي يدعون إلى تدويل القدس - المسجد الأقصى ثالث الحرمين وأولى القبلتين.

ووجدنا في بيانهم أنهم يدعون إلى المحافظة على دساتيرهم وقوانينهم، كل دولة منهم لها سيادتها واستقلالها حسب دستورها. وكان الأجدر بهم أن ينتبهوا أن دساتيرهم وقوانينهم ليست مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله، وفي هذه الحال فإن الواجب الرباني يحتم عليهم ليس المحافظة على دساتير الكفر هذه، بل أن ينسفوها من جذورها ويضعوا بدلاً منها دستوراً إسلامياً وقوانين شرعية إسلامية يكون فيها صلاح الناس، ورضى رب الناس. ولكن أين هم من هذا؟

أيها القراء الكرام، يا شباب الإسلام، افهموا الأمور على حقيقتها ولا تغرّبكم الأوهام: لا تعلّقوا أي أمل على هؤلاء الحكام وأمثالهم، ليكن أملككم بالله وبجهودكم وبالمخلصين من أبناء أمتكم: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ □

منهج القرآن ومنهج المتكلمين نشأة علم الكلام وخطأ مناهج المتكلمين

بقلم: أحمد المحمود

ما يسمونه (علم الكلام) لم يكن موجوداً على أيام رسول الله ﷺ ولا على أيام أصحابه، بل نشأ بعد ترجمة ثقافات غير إسلامية إلى العربية، وخاصة الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني. غالبية الذين اشتغلوا بعلم الكلام من المسلمين لم يكفروا، وكان غرضهم شرح عقائد الدين، والتوفيق العقلي المنطقي بين ما يرون فيه تعارضاً ظاهرياً. فوقعوا في متاهات، وشغلوا عقولهم وعقول غيرهم في أبحاث هي فوق قدرة العقل. وكان الصحيح أن يتوقفوا فيها حد النصوص.

نشأة علم الكلام

لقد مضى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمسلمون على عقيدة واحدة، هي ما جاء في كتاب الله وعلى منهجه. فهم قد أدركوا زمان الوحي وشرف صحبة صاحبه، وأزال نور الصحبة عنهم ظلام الشكوك والأوهام. وكان إيمانهم من القوة بحيث لا يثير فيهم أية أسئلة مما فيه شبهة التشكيك.

لم يتكلفوا العلم الذي لم يعلمه الله العباد، وكانوا أبرّ هذه الأمة، وشهد لهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالخيرية. فكانت طريقتهم في الاعتقاد وفي تبليغها أسلم وأحكم وأعلم من كل طريقة سواها. وكيف لا؟ وهي طريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى منهج القرآن الكريم. فيها يحصل الشفاء والهدى والعلم واليقين. وبها ينقلب المسلم طاقة جبارة تدفعه للدعوة بقوة، سيرته في ذلك سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته.

وقد انصرم القرن الأول للهجرة كلّه وتيار الدعوة يكتسح أمامه كل شيء. والإسلام يؤدي للناس في فهم مُشرق، وإيمان عميق، ووعي مدهش.

وقد أدى حمل الدعوة الإسلامية إلى التقاء الإسلام بمحضرات وديانات الأمم المفتوحة. وبما أن القرآن الكريم، إلى بلخ احتوائه على العقائد الإسلامية قد احتوى على ذكر العقائد المخالفة لها، وعلى ذكر الحُجج الداحضة لها، فقد ترتب على هذا الالتقاء صراع فكري بينه وبينها. فكان هذا من العوامل التي أُنهضت عقول بعض المسلمين للبحث في العقائد الإسلامية وكيفية الدفاع عنها ضد العقائد المخالفة لها، ومنها الفلسفة اليونانية التي تسلح بها النصارى للوقوف في وجه دعوة الإسلام. وأهى ذلك إلى حركة ترجمة ناشطة انتقلت من خلالها الفلسفة اليونانية إلى من اشتغل بهذا الأمر من المسلمين، فكان لها أثرها في إيجاد ما يسمّى بعلم الكلام والطرق الكلامية.

طريقة جديدة

وقد تميزت هذه الطرق الكلامية التي عرفت بطريقة الخلف عن سابقتها، وهي طريقة الصحابة أو طريقة السلف، بأنها تكلمت في ذات الله، وعلى منهج الفلاسفة اليونان.

فجعلت العقل أساساً للبحث في الإيمان كله، واعتمدت في إقامة البرهان على الأساس المنطقي، وجعلت خصومة الفلاسفة أساساً للبحث، وبحثت فيما وراء الحسن، في ذات الله وصفاته، واتبعت المتشابهة. فكثرت التأويل، واشتلت المخاصمة، ووقعت الفتنة، وجل ذلك كان فيما بين المسلمين ممن اشتغل بهذا الأمر وأصاب شظاياها بعضاً من علماء الفقه المسلمين الذين نأوا بأنفسهم عن أن يخوضوا في علم الكلام بل وحذروا منه كابن حنبل رحمه الله.

هكذا كان شأن السلف من الصحابة والتابعين، شغلوا من كتاب الله بالعمل عن الجدل، وامتد الإسلام وكثرت الفتوحات. ثم لما تأثر بعض المسلمين ببعض الأفكار الفلسفية - ومنها الفلسفة اليونانية، تفرق هؤلاء إلى مذاهب ونحل، وشغلت كثيراً بالجدل عن العمل، وأهملت القلوب، واستكبرت العقول فتناولت على كل شيء. وبالغت في التفكير في ذات الله وتقليب الرأي في صفاته وهو خالقها، واستعانت على ذلك بأراء الفلاسفة وطريقة تفكيرهم.

فإذا كان الإنسان ما يزال عاجزاً عن استقصاء ما في ذاته من دقيق الخلق!

فكيف يمكن للعقل أن يدرك كنه الله سبحانه، خالق الكون، ومن بيده الأمر كله؟ وكيف يدركه سبحانه بصفاته وليس كمثل شيء نقيسه عليه؟

فالسبيل إلى ذلك أن ندع كلام الله تعالى في ذاته وصفاته، والثابت من حديث رسول الله ﷺ، أن ندعها يمران إلى قلوبنا نحن تأويل ولا تعقيد، لأننا لا ندري إن أولنا أكان تأويلنا موافقاً لم^أ راد الله تعالى فيما أنزل أم لا؟ فالمؤول لا يستطيع الجزم بما أول، واليقين هو الظاهر وهو الحقيقة دون المجاز.

منهج خاطيء

ويتبين من استعراض منهج المتكلمين أنه منهج غير صحيح، وسلوكه لا يؤدي إلى إيجاد الإيمان ولا إلى تقوية الإيمان، بل يؤدي إلى إيجاد المعرفة، والمعرفة الخاطئة، لأنها معرفة في أمر لم تُخبر عنه، ولا تقع حواسنا عليه.

ووجه الخطأ في هذا المنهج ظاهر في عدة وجوه:

أولاً: إن هذا المنهج (منهج المتكلمين) اعتمدوا فيه في إقامة البرهان على الأساس المنطقي وليس على الأساس الحسي، مما يجعل المسلم بحاجة لأن يتعلم علم المنطق حتى يستطيع إقامة البرهان على وجود الله. ومعنى ذلك أن من لا يعرف المنطق لا دخل له بالعقيدة الإسلامية مع أنه جاء الإسلام ولم يكن المسلمون يعرفون علم المنطق، وحملوا الرسالة على خير ما يرام، وأقاموا الأدلة القاطعة على عقائدهم، ولم يحتاجوا علم المنطق، في شيء من البراهين على العقيدة الإسلامية. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الأسلوب المنطقي في البرهان مظنة للخطأ، أي ممكن أن يتسبب إليه

الخطأ بخلاف الأساس الحسي. وهذا الأخير هو الأساس الذي استعمله القرآن في البرهان، فإنه لا يمكن أن يتطرق إليه الخطأ مطلقاً. وما يمكن أن يتطرق إليه الخطأ لا يصح أن يُجعل أساساً في البرهان.

تحكيم العقل في المغيبات

ثانياً: أن هذا المنهج (منهج المتكلمين) يجعل العقل أساس البحث في الإيمان كله، حتى في المغيبات، وقد بنوا تفسيرهم للقرآن بمقتضى ذلك على أسسهم من التنزيه المطلق، وحرية الإرادة، والعدل وفعل الأصلاح، إلى غير ذلك. وحكّموا العقل في الآيات التي ظاهرها التعارض، وجعلوه الفيصل بين المتشابهات. وأولوا الآيات التي لا تتفق والرأي الذي يذهبون إليه، حتى صار التأويل طريقة لهم لأن الأساس ليس الآية وإنما الأساس عندهم العقل. والآية يجب أن تُؤوّل لتطابق العقل وهكذا أدى جعلُ العقل أساساً للقرآن إلى خطأ في البحث. ولو جعلوا القرآن أساساً للبحث، والعقل مبنياً على القرآن لما وقعوا فيما وقعوا فيه.

نعم أن الإيمان بكون القرآن كلام الله مبني على العقل فقط. ولكن القرآن نفسه بعد أن يتم الإيمان به يصبح هو الأساس للإيمان بما جاء به وليس العقل. ولهذا يجب إذا ما وردت آيات في القرآن أن لا يحكّم العقل في صحة معناها أو عدم صحتها، وإنما نحكّم الآيات نفسها. والعقل وظيفته في هذه الحالة الفهم فقط. ولكن المتكلمين لم يفعلوا ذلك، بل جعلوا العقل أساساً للقرآن. ومن أجل هذا، حصل لديهم التأويل في آيات القرآن.

اتباع للفلاسفة!

ثالثاً: أن المتكلمين جعلوا خصومة الفلاسفة أساساً لبحثهم. فالمعتزلة أخذوا من الفلاسفة ورثوا عنهم. وأهل السنة والجماعة رثوا على المعتزلة وأخذوا من الفلاسفة ورثوا عنهم. في حين أن موضوع البحث هو الإسلام، وليس الخصومة لا مع الفلاسفة ولا مع غيرهم. وكان عليهم أن يبحثوا فيما جاء به القرآن، وما ورد في الحديث ويقفوا عند حدّه وعند حدّ بحثه، بغضّ النظر عن أي إنسان. ولكنهم لم يفعلوا ذلك، وحولوا تبليغ الإسلام وشرح عقائده إلى مناظرات ومجادلات، وأخرجوها من قوة دافعة في النفس، من حرارة العقيدة ووضوحها، إلى صفة جدلية ومهنة كلامية، وهذا مخالف لمنهج القرآن الذي هو ردّ أيضاً على بعض الأفكار الفلسفية ولكن بمنهج واحد. واعتمد فيه على خطاب الفطرة والعقل، بحيث يشعر الإنسان بنتيجة المخاطبة بجزم العقل وتيقنّه في المحسوسات التي تدل على وجود الخالق ووحدانيته وقدرته وحكمته وعظمته... وليشعر كذلك من أعماق نفسه بالاستجابة له والإصغاء إليه، حتى الملحد يعقله ويعنو له. وهو منهج يوافق كل إنسان، لا فرق بين الخاصة والعامة، بين المتعلم وغير المتعلم. وهو منهج يجعل الإنسان يفكر جدياً في وجوده ومصيره.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجتمعوا لَهُ وَإِنْ يَسئَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ صُغْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٢٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسئَلْتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ صُغْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿﴾.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَافِقٍ ﴿﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿﴾.

وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُنصِرُونَ ﴿﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿﴾.

وقال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿﴾ وَأَعْطَشَ لِبَنِيهَا وَأَخْرَجَ صَحَاها ﴿﴾ وَالْأَرْضَ نَعَدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿﴾.

وهكذا يسير منهج القرآن في إثبات قدرة الله وإرادته وعلمه وعظمته على أساس الفطرة والعقل. وهذا المنهج يحرك النفس وكوامنها. فتأثر بما توصل العقل إلى إثباته والإقرار به إقراراً يعرج حقيقة ما فطر عليه الإنسان، فتشبع الفطرة إشباعاً يُشعرها بالاطمئنان والانشراح.

خروج على المحسوس

رابعاً: أن المتكلمين خرجوا على الواقع المحسوس وتجاوزوه إلى غير المحسوس. فهم بحثوا فيما وراء الطبيعة، في ذات الله وفي صفاته، فيما لم يصل إليه الحس، وشبهوا ذلك مع الأبحاث المتعلقة بالمحسوس، وأفرطوا في قياس الغائب على الشاهد، ففاسوا الله على الإنسان، وأوجبوا على الله تعالى العدل كما يتصوره الإنسان في الدنيا، وفاتهم أن المحسوس مُدرك وأن ذات الله غير مُدركة، فلا يمكن أن يُقاس أحدهما على الآخر. ولم يفتنوا إلى أن عدل الله لا يصح أن يقاس على عدل الإنسان. ولا يجوز إخضاع الله لقوانين هذا العالم، وهو الذي خلق العالم وهو الذي يسيّره حسب هذه القوانين التي جعلها له، إذا نرى أن الإنسان إذا ضاق نظره يفهم العدل فهماً ضيقاً، ويحكم على الأشياء حكماً معيناً، فإذا اتسع نظره تُغيّرت نظره إلى العدل وتغيّر حكمه. فكيف نقيس رب العالمين الذي يحيط علمه بكل شيء، فنعطي عدله المعنى الذي نراه نحن للعدل، وكذلك الصلاح والأصلح.

الآيات المتشابهة

خامساً: إن الآيات المتشابهة التي فيها إجمال، وفيها عدم وضوح للقارئ جاءت عامة دون تفصيل، وجاءت بشكل وصف للأشياء وصفاً إجمالياً أو تقريراً لوقائع يظهر فيها عدم البحث والاستفاضة والاستدلال، فلا ينفر منها القارئ، ولا يدرك حقيقة ما ترمي إليه إلا بمقدار مدلولات ألفاظها. ولذلك كان من الطبيعي الوقوف منها موقف التسليم دون تعليل أو تدليل. فهناك آيات تصف جانباً من أفعال الإنسان فتدل على الجبر، وآيات تصف جانباً آخر فتدل على الاختيار. يقول تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿﴾، ويقول: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، ويقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ويقول: ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾. وجاءت آيات تثبت لله وجهاً وبدأً، وتعبّر عنه بأنه نور السماوات والأرض، وتقول أنه في السماء. يقول تعالى:

﴿أَأَمْسُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ ويقول: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، ويقول: ﴿وَيُنْفِئُ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ويقول: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. وجاءت آيات تُثبت له التنزيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾.

وهكذا وردت في القرآن آيات في نواحٍ يظهر فيها التناقض، وقد سمّاها القرآن المتشابهات.

اتباع المتشابه

وحين نزلت هذه الآيات وبلغها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للناس، وآمن بها المسلمون، حفظوها عن ظهر قلب ولم تُثير فيهم أي بحث أو جدال، ولم يروا فيها أي تناقض يحتاج إلى التدقيق، بل فهموا كل آية في الجانب الذي جاءت تصفه أو تقرّره، فكانت منسجمة في واقعها وفي نفوسهم. وقد آمنوا بها وصدقوها وفهموها فهماً بجملاً واكتفوا بهذا الفهم، واعتبروها وصفاً لواقع أو تقريراً لحقائق. وكان كثير من ذوي العقول لا يستسيغ الدخول في تفصيل هذه المتشابهات والجدال فيها، ويرى أن ذلك ليس من مصلحة الإسلام. ففهم المعنى الإجمالي لكل من فهم بمقدار ما فهم يغنيه عن الدخول في التفصيلات والتفريعات. وهكذا أدرك المسلمون منهج القرآن وتلقّوا آياته وساروا على ذلك.

ولما جاء المتكلمون، أجزوا فهمهم للمتشابهات بناءً على ما أدركته عقولهم من معنى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فجعلوا فهمهم هذا هو الفيصل في فهم المتشابهات وأصلوا عليه قواعدهم الاعتقادية، ودخلوا في التفصيلات بناءً على أصولهم هذه، وأولوا كل ما يخالف رأيهم، وكفّروا كل من يخالفهم الرأي. وكثر الكلام في هذا وطال حتى أطلت الفتنة برأسها كبيرة على المسلمين. ولو رُدّوه إلى الله والرسول لوجدوا خيراً كثيراً، ولما تمثّل منهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

ويجب أن يتمثل فينا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه مسلم عن عائشة: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين ساء بهم الله فاحذروهم».

(عائق لغوي)!!

وقد يقال أن السبب في الخوص بعلم الكلام هو الضعف الذي طرأ على أذهان المسلمين في فهم اللغة العربية، لذلك نعدل عن أسلوب الصحابة إلى الأسلوب المنطقي، ولا ضير طالما حافظنا على التنزيه ولم نعطّل ولم نشبه. فتلك حجة داحضة، ذلك أن طبيعة البحث الذي خاضه علماء الكلام لم يظهر فيه أن موضوع اللغة هو العائق في الفهم الصحيح للعقيدة، بل إن مادة البحث عندهم هي التي جعلتهم يختلفون. فعندما نقول أن الله سميعٌ بصير، فقد فهم المعنى لغة ولسنا بحاجة للأسلوب المنطقي. ولكن تغير صعيد البحث، وتناول الموضوع من زاوية البحث في الذات هو الذي دفع إلى هذا المنهج.

وإذا كان الدافع وراء الأسلوب المنطقي فعلاً هو اللغة العربية، فما علينا إلا أن نفسر المعنى اللغوي للكلمات التي تحتاج إلى تفسير، وما تشابهه على أذهاننا من معانٍ سلّمنا بها من غير حوضٍ ولا منظرٍ.

ولكن لا يظهر أن موضوع اللغة هو السبب في التأويل والتكلم في الذات، وإدخال العقل في متاهات لا يقدر على الخروج منها إلا خاسراً خائباً، بل السبب هو الهوى وعدم اتباع طريق السلف.

منهج تفريق!

ومما يجدر ذكره أن هذه البحوث هي التي أدت إلى نشوء كثير من الفرق التي خرجت عن الإسلام، والتي ذكرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه: «افتترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة كلها في النار، وافتترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار ما عدا واحدة». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما عليه أنا وصحابتي».

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم أرشدنا إلى اتباع طريقتة وحذر من مخالفتها، وقال: «إن من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضواً عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة في النار».

وكذلك فإن مما يجدر الوقوف عنده أن هذه البحوث وأمثالها تجعل توجه المسلم ضد أخيه المسلم، وتجعل معركته داخلية، يستطيع الكفار من خلالها أن يلقوا في ساحة المسلمين كثيراً من الشبهات التي تشغلهم فيما بينهم، فتؤدي إلى تعطيل الدعوة والجهاد في سبيل الله. لذلك نرى هذه العلوم المندثرة يشتغل بها المستشرقون، ويؤلف فيها أساتذة نصارى، ولها أتباع قلائل عليهم أن يتركوها حباً لله، وإلا فإنهم عن قصد أو عن غير قصد - أتباع لمن لا يرجو الخير لهذا الدين. يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

والواقع أن مسائل علم الكلام كانت قد أثرت من جانب أفراد نصارى اعتنقوا الإسلام ولم يكونوا مخلصين له. يدلنا على ذلك أن غيلان الدمشقي كان قبل إسلامه قبطياً، وأنه كان من أبرز دعاة القدر، على نحو ما يذكر ابن قتيبة في (كتاب المعارف) قائلاً: غيلان الدمشقي كان قبطياً لم يتكلم أحد قبله في القدر ودعا إليه إلا بعد الجهني. وكان غيلان يكنى (أبا مروان)، وأخذه هشام بن عبد الملك (المتوفى سنة ١٢٥ هـ)، وصلبه بباب دمشق. [ص ١٦٦].

وكما أثار بعض من أسلم من النصارى شبهات عقائدية حول القدر، نجد كذلك بعض من أسلم من اليهود قد أثار شبهات التشبيه والتجسيم ووضع لذلك الأخبار. يقول الشهرستاني: وأكثرها (أي أكثر الأخبار الموضوعة الدالة على التشبيه) مقبسة من اليهود، فإن التشبيه فيهم طباع. ولعل عبد الله بن سبأ الذي كان يهودياً وأظهر الإسلام هو أول من أثار - إلى جانب غلوه في الإمام علي رضي الله عنه - شبهات التشبيه على نحو ما ذكر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) [ص ٢١٤].

بين المتكلمين والرّد عليهم

يقول الله تعالى في كتابه الكريم، فيما ينهانا فيه عن التكلم في الذات الإلهية، وعلى طريقة علم الكلام:

﴿فَلَا تُصِرُّوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ويقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

ويقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وفي آية أخرى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

ويقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

ويروي الإمام الغزالي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: "الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته

إلا بالعجز عن معرفته". [أحياء علوم الدين ص ١٠١].

وروي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سأله صبيغ عن متشابهه، أمر بضربه واعتزاله حتى تاب.

وعندما خرجت الخوارج قيل له: هذا وقتك قال: لا، نفعتني موعظة العبد الصالح □

(سبع)

الأميركيون يَدْخُلونَ في دين الله أفواجا...!

ذكرت صحيفة (داكنز نيهتر) السويدية، أن الإسلام بدأ ينتشر في الولايات المتحدة الأمريكية بسرعة مذهلة. وتقول الصحيفة بأن الأميركيين، وبالأخص السود منهم، يدخلون في الإسلام أفواجاً أفواجاً، كما يلتحق بهم المهاجرون من بلدان شرق آسيا والشرق الأقصى.

وأضافت الصحيفة أن معدل بناء المساجد في أميركا هو بناء مسجد واحد في كل أسبوع. ونقلت إحصاءات رسمية قدمها مركز إعلام الاتحاد المسيحي في بريطانيا تقول بأن معدل بناء المساجد في أميركا هو مسجد أو مركز إسلامي واحد في كل أسبوع.

ونقلت الصحيفة عن المركز المذكور قوله بأن انتشار الإسلام وتأسيس المراكز الإسلامية والمساجد في أميركا لم يسبق له مثيل من قبل. وقد ازداد عدد الذين دخلوا في الإسلام من الأميركيين البيض والسود.

وذكرت الصحيفة في تقريرها بعنوان (انتشار الإسلام في أميركا) بأن انتشار الإسلام في أميركا ملحوظ الآن أكثر من أي وقت مضى □

موقف عنصري ضد العمال المسلمين في بلجيكا

شن وزير الداخلية البلجيكي هجوماً على المهاجرين المسلمين الذين يعيشون في بلجيكا، وذلك في حديث مع مجلة (اكسكلوسيف) البلجيكية واسعة الانتشار. فقد شبه الوزير وضع بلجيكا بوضع روما القديمة عندما حاصرها (البرابرة)، وصرح أن (البرابرة) الذين يعينهم هم المسلمون (العرب والأتراك واليوغسلاف) مؤكداً أن هؤلاء القوم يأتون من بعيد ولا يشتركون معنا في أي جانب من الحضارة الغربية. وعندما أراد الوزير أن يعتذر، قال إنه يقصد بكلمة (برابرة) معناها القديم وهو (الغرياء).

وقد استطرد الوزير إلى القول بأنه يجب عدم السماح لبرابرة العصر الحديث - المسلمين - بتحطيم الحضارة البلجيكية المعاصرة. ودعا إلى زيادة النسل في بلاده لمواجهة أمواج (البرابرة) الجدد الذين يعيشون في بلجيكا.

وقد أثارت تصريحات الوزير ضجة إعلامية كبيرة. وعلى كل حال، فإن كلام الوزير يشير بوضوح إلى مدى الحقد الصليبي الكامن في نفوس الأوروبيين تجاه الإسلام وأهله □

ملاحقة الشباب الملتزم في الجيش التركي

أصدر رئيس أركان الجيش التركي؛ الفريق أول (نجدت اورغ) تعميماً طلب فيه من كل قادة القوات المسلحة إخراج المسلمين "الذين لهم نشاطات دينية إسلامية" في الجيش، وخلال ٢٤ ساعة.

هذا ما نشرته صحيفة (مليت) التركية، وأضافت أن قادة الجيش التركي أيدوا هذا الخبر، ولكنهم امتنعوا عن التصريح حول الدوافع التي تكمن وراء هذا الإجراء.

وأضافت الصحيفة أنه خلال الأشهر الستة الماضية تمَّ إخراج أكثر من (١٠٠) طالب من المدارس العسكرية لاتهمهم بممارسة نشاط ديني، وارتباطهم بمؤسسات دينية، وأن أغلب هؤلاء الطلاب هم من المدارس العسكرية (هيبلي) في استانبول و(أشكلاكولثي) في (بورصة). كما يجري الآن وبنشاط واسع، التحقيق في القطاعات العسكرية الأخرى لمعرفة المخالفين للنظام العلماني الكافر في تركيا □

تراجع المسؤولين في جامعة أسيوط عن قرارهم

أخيراً تراجع المسؤولين في جامعة أسيوط عن قرارهم بمنع ارتداء النقاب في حرم كليات الجامعة. وذلك بعد الضغوط التي مارسها الطلبة المسلمين على إدارة الجامعة للتراجع عن قرارها. ويذكر هنا بأن الطلبة المسلمين، وخلال العاميين الدراسيين الماضيين، قد سيطروا على اتحادات الطلبة في جميع كليات الجامعة تقريباً.

وقد قام الطلاب المسلمون بمنع الاختلاط بين الطلاب والطالبات في حرم كليات الجامعة.

تصويب: جاء في العدد الماضي من (الوعي) أن قرالاً أصدره رئيس جامعة أسيوط يمنع الطالبات من ارتداء الجلباب في أنحاء الجامعة. والصحيح أن القرار حظر على الطلاب الشباب من ارتداء الجلباب، وقد اقتضى التصويب □

فوز الطلبة المسلمين بجميع مقاعد الاتحادات الطلابية في السودان

ذكرت وكالة - أ ف ب - من الخرطوم، بأن طلبة التيار الإسلامي فازوا في ١٩ تشرين الأول الماضي. بمجموع مقاعد مجالس اتحادات الطلبة في الجامعة الرسمية بالخرطوم، والجامعة الإسلامية في أم درمان، والتي تمثل امتداداً للعاصمة السودانية.

فقد فاز الإسلاميون بجميع المقاعد في جامعة الخرطوم، وهي أكبر جامعات السودان، وهزموا بذلك ائتلافاً من الأحزاب الأخرى بما في ذلك حزب البعث والشيوعيين.

وفي جامعة أم درمان الإسلامية، والتي ظلت لعهد طويل معقلاً للطلبة اليساريين وللشيوعيين (الكفار) بالذات، فاز طلاب (الطلبة المسلمون) بجميع مقاعد مجلس اتحاد الطلبة ضد تحالف بين حزب (الأمة) و(الحزب الاتحادي الديمقراطي) □

(الإسلام قوة جديدة في العلاقات الدولية)

ذكرت وكالة - أ ف ب - من باريس، بأن المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية قد خصص أحد موضوعاته الرئيسية في التقرير السنوي الصادر عنه لبحث موضوع (الإسلام... قوة جديدة في العلاقات الدولية). فحلل نتائج العودة المشهودة للإسلام في العالم الإسلامي، وانعكاساتها على العلاقات الدولية.

وذكر التقرير أن "الدولتين العظميين عاجزتان نظرياً عن مواجهة تيار يزداد ضدهما، ويعتزم التطور على حساب نفوذهما" وهو التيار الذي سمّاه التقرير بـ (الظاهرة الإسلامية الأصولية) □

انتشار الإسلام في أوساط المسيحيين والوثنيين الأفارقة

حذرت الوفود المشاركة في مؤتمر الواجب العالمي لاتحاد الشباب المسيحي في المجتمعات الإسلامية، الذي عقد مؤخراً في كينيا، من سرعة انتشار الإسلام في أوساط المسيحيين والوثنيين الأفارقة.

ولم تخف تلك الوفود قلقها من إنشاء مراكز إسلامية حديثة في أفريقيا، بهدف التصدي للمسيحية، كما أنها أشارت إلى وجود زيادة ملحوظة في عدد الوعاظ المسلمين في القارة الأفريقية □

اتجاه لمنع التدريس الديني في مقدونيا

أفادت الأنباء الواردة من يوغوسلافيا أن السلطات الشيوعية هناك بصدد إصدار قرار يحظر التدريس الديني في المدارس لكافة الأطفال دون سن الـ ١٥ سنة.

وكانت السلطات الشيوعية الكافرة قد قامت بملاحقة المئات من العائلات المسلمة في مقدونيا، وذلك لإدخالهم أطفالهم في المدارس الإسلامية، عوضاً عن المدارس الرسمية الشيوعية.

والجدير ذكره أن مقاطعة مقدونيا تضم حوالي نصف مليون مسلم، في حين يبلغ عدد المسلمين في يوغوسلافيا حوالي ٤ ملايين نسمة.

من الظاهر أن قرار إعادة السماح للطالبات المسلمات بارتداء اللباس الشرعي، كان قراراً إعلامياً فقط. إذ أنه منذ بداية السنة الدراسية الجديدة في تركيا، والطالبات المسلمات يقمن باعتصام شامل، وذلك لمنعهن من جديد من ارتداء اللباس الشرعي في حرم الجامعات.

وكانت العشرات من طالبات جامعة مرمرة في استانبول قد اعتصمن أمام مداخلها في اليوم الأول للدراسة.

والجدير ذكره هنا بأن رؤساء الجامعات التركية قد اجتمعوا بحضور كنعان ايفرين رئيس دولة تركيا، وصادقوا على قانون جديد يقضي بمنع ارتداء اللباس الشرعي وتم منح رؤساء الجامعات صلاحيات استثنائية لتطبيق هذا القانون. وبعد صدور هذا القانون، خرجت العديد من التظاهرات معارضة هذا القانون وخاصة في قونية، حيث انضم أولياء الطلبة والطالبات إلى هذه التظاهرات □

أسلوب غربي خبيث

بقلم: صالح خير الله

فرض تدريس اللاتينية بناءً على فساد لقلية أبناءنا

رغم أن عهد الاستعمار المباشر قد ولى، لا زالت اللغة الأجنبية موضع احترام وتقدير في النفوس، ولا زالت عند الناس عنوان التقدم ومعيار الثقافة فما هي حاجتنا إلى تدريس اللغات الأجنبية؟ وما تأثير تدريسها على عقول أبنائنا؟ وما دور الاستعمار في ذلك؟

الوسيلة الفضلى!

كان من الطبيعي أن يفرض الاستعمار سيطرته السياسية والعسكرية والفكرية والثقافية بعد انتصاره وتمكّنه من حكم البلاد حكماً مباشراً، أو بواسطة عملائه. ولذلك فقد فرض النظام السياسي الذي يريد، ونصب الحاكم الذي يريد، ووضع الثقافة والأفكار التي يريد، وبالوسائل والأساليب التي يريد، وكل ذلك حتى لا يدع جزئية واحدة تخرج عن الخط المرسوم لنشر مبدئه، وتثبيت فكرته.

ولما كانت اللغة هي الوسيلة الفضلى لفهم المبدأ، فقد فرض الاستعمار لغته على الناس إما باعتبارها اللغة الرسمية في البلاد التي حكمت مباشرة من قبله، أو باعتبارها لغة رسمية ثانية، أو لغة رسمية في المدارس والجامعات. وحاول إلى جانب ذلك طمس لغة البلاد الأصلية وتثبيت لغته هو، كما حدث في شمال أفريقيا وغيرها من بلاد القارة السوداء. ولا تزال الدول المستعمرة تحافظ على سيطرتها الثقافية، وتقيم العلاقات الوثيقة مع مستعمراتها. ولا يخفي علينا ما تحاوله فرنسا من خلال نشاطاتها الثقافية في البلاد الناطقة كلياً - أو جزئياً - باللغة الفرنسية.

ولا يخفى كذلك على أحد ما قام به أتاتورك من تبديل الخط العربي بالحرف اللاتيني، كما دعى لذلك طه حسين وورثته، أو ما يدعو إليه ويقوم به إحسان عبد القدوس أو سعيد عقل من استعمال اللغة العامية بدلاً من الفصحى، وهكذا، مؤمنين بأن اللغة لها ارتباط وثيق بمصدرها، وبأنها توجد طبيعياً شعوراً خاصاً تجاه ذلك المصدر.

الأجنبي محور ثقافتنا!

ومن جملة ما جرى في أنظمة التربية والتعليم، وما وضع لها من مناهج وبرامج، ألزمت الدول القائمة بتنفيذها. فكانت جزءاً أساسياً من الغزو الثقافي، ووسيلة رئيسية لتثبيت المبدأ الرأسمالي الغربي في النفوس.

وقد وضع الاستعمار مناهج التعليم والثقافة على أساس فلسفة ثابتة، هي وجهة نظره في الحياة التي هي فصل المادة عن الروح، وفصل الدين عن الدولة. وجعل شخصيته وحدها الأساس الذي تَسَّعُ منه ثقافتنا، وجعل حضارته ومفاهيمه ومكونات بلاده وتاريخه وبيئته المصدر الأصلي الذي نحشوا به عقولنا. ولم يكتفِ بذلك، بل جعل المغالطة أيضاً متعمّدة فيما ينتزعه لنا من شخصيته من مفاهيم وحقائق، وعكس الصور الاستعمارية على هذه الشخصية، طابعها الوضع المثالي الذي يُقتدى به، والوضع القوي الذي لا يُستغنى عن السير معه، مخفياً وجه الاستعمار الحقيقي بالأساليب الخبيثة. ثم تدخّل في تفصيلات هذه البرامج حتى لا تُخرج جزئية من جزئياتها عن هذا المبدأ العام.

(الحق على الطليان)

ولعل القارئ يظن أننا من أولئك الفوضويين الذين لا يعرفون سبب الداء، فيرمون بالتبعية والمسؤولية على ذلك الوحش الخرافي المسمى بالاستعمار، أو كما يقول المثل العامي (الحق على الطليان). لكن الأمر ليس بهذه البساطة، لأن بريطانيا وغيره من الدول الاستعمارية الغربية، أمضت قرابة المائة والخمسين عاماً تعمل بالغزو الفكري والثقافي في بلاد المسلمين، حتى وصلت إلى حكمهم بعدما قضت على دولة الخلافة. وكانت الفترة ما بين عامي (١٧٥٠م - ١٩٢٤م) كافية - مع الأسف - لصياغة عقول أبناء المنطقة من جديد. فالاستعمار هو الداء فعلاً، والحق فعلاً على (الطليان) (أو بالأحرى الإنكليز).

وقد ابتدأت عملية تغيير المناهج من أوائل القرن الماضي، عندما أدخل محمد علي باشا (والي مصر آنذاك) نظام التعليم الفرنسي على مناهج الدراسة في مصر. وعهد إلى علماء فرنسيين بالإشراف عليها، وأسس عدة مدارس عالية بإشراف الفرنسيين، أو من تعلم من أهل مصر في فرنسا. وعندما أحكمت بريطانيا وفرنسا سيطرتهما السياسية العسكرية على بلاد المشرق (تباعاً)، عمدت كل من هاتين الدولتين إلى إعادة صياغة المناهج الدراسية من جديد، لتصبح ملائمة للتطور الفكري المزعوم.

هذا هو الخط العريض الذي سارت عليه برامج التربية والتعليم منذ أو وطئت أقدام المستعمر العالم الإسلامي حتى يومنا الحاضر. ولست بصدد التعرض إلى هذه البرامج أو المناهج، بل ودّهت أن ألفت النظر إلى إحدى جزئيات هذه البرامج، تلك الجزئية التي أصبح الناس بجملتهم يؤمنون بها، ويتسابقون في تثبيتها وإقرارها. تلك الجزئية هي دراسة اللغة الأجنبية. فقد أصبحت المدارس الرسمية منها والأهلية - تتباهى بتعليم تلك اللغة وتُفاخر بها، وبات الناس يفضلون هذه المدرسة أو تلك بمقدار اهتمامها باللغة الأجنبية.

مقياس التقدّم

ومن أخط ما يحدث في الأمة من تضليل أو جهالة، أن تصبح غاية الاستعمار هدفاً من أهداف الأمة، وغاية تسعى جاهدة لتحقيقها ونوالها. فبعد أن كان الاستعمار يفرض ما يريد على الناس ويطبقه إما مباشرة أو بواسطة عملائه. وبقوة الحديد والنار، أصبح الآن يقوم بتوجيه الأمة لجعل ما يريد هدفاً لها، وقضية مصيرية تسعى لنوالها،

وتناضل وتكافح من أجل تحقيقها. وذلك كالمطالبة بالديمقراطية وبالحرريات، وبحق الشعب بتقرير المصير، وبناء الدولة القومية، أو الوطنية أو الإقليمية أو غير ذلك.

إن هذا الأسلوب الخبيث في نشر ثقافة الاستعمار وتركيزها في النفوس هو الذي أوجد هذا الحرص عند المدارس والمعاهد والجامعات، بل عند الناس جميعاً إلا من رحم ربي، على تعلم وتعليم اللغة الأجنبية في كافة مراحل الدراسة. وتجاوز الأمر ذلك حتى غدت اللغة الأجنبية معيار الثقافة ومقياس التقدم. هذه هي الحال التي وصلنا إليها: نحرص على آثار الاستعمار ومخلفاته ومبدهئه أكثر من حرصنا على مبدئنا وثقافتنا وتراثنا.

اللغة الأجنبية

فُرضت اللغة الأجنبية ابتداءً على البلاد باعتبارها الجزء الأساسي المكمل لمبدأ المستعمر، وأجبر الناس على دراستها إما بواسطة المدارس، أو بربط الوظائف جميعها بمعرفة اللغة الأجنبية. وتعلّى الأمر ذلك لتصبح اللغة الأجنبية (وهي إما اللغة الإنكليزية أو الفرنسية في بلادنا) لغة الدولة الرسمية، أو على الأقل اللغة الرسمية الثانية.

ولما كانت طبيعة الناس ارتباطهم بمصالحهم، فقد أقبل الناس على تلك اللغة فتعلموها ودرسوها، وقبلوا أن تكون المادة الأولى في مناهج الدراسة تحقيقاً لمصالحهم وجرياً وراء منافعهم، وهذا أمر بديهي. لكن الواقع اليوم قد تغير، والظروف والأحوال قد تبدلت، ولم تعد مصالح الناس مرتبطة باللغة الأجنبية، ومع ذلك ما زالت لها قدسيته واحترامها في نفوس الناس، وما زالت في نظرهم عنوان التقدم، ومعيار الثقافة.

فالشاب كي يثبت نفسه بأنه تقدمي مثقف لا بد وأن يضمّن كلامه بعض المفردات الأجنبية، فيودّع صاحبه بكلمة (باي) ويستقبله بكلمة (هاي)، وهكذا. والمحلات التجارية تختار لها من الأسماء يناسب العصر، وما يلفت النظر لثبت أهما محلات كتوب المدينة، وتتعامل مع أحدث ما وصلت إليه المدينة من تقدم. وليس هذا بيت القصيد، بل هو اللغة الأجنبية في مناهج الدراسة، وبرامج الثقافة والتعليم.

ولعل البعض يرى أن كلامي لا طائل تحته، وأنه لا يوجد مشكلة فيما أبحث. وقد يتساءل أحدهم: ما المانع في أن نستزيد من العلم والثقافة، فنتعلّم هذه اللغة أو تلك؟ الحديث يقول: « من تعلّم لغة قوم أمن مكرهم»، فما المشكلة في أن نتعلم ما أمكن لغات العالم في المدارس والجامعات؟

ثم إن اللغة وسيلة تخاطب بين الناس ليس إلا. فما المانع من استعمال هذه اللفظة أو تلك لتأدية المعنى؟ إذا كانت كلمة (هاي) أو (باي) أسهل نطقاً من كلمة (السلام عليكم) أو (مرحباً) أو (وداعاً)، فلم لا نستعمل اللفظة الأسهل ما دامت تؤي المعنى.

ارتباط وثيق

وباختصار، ما هي المشكلة في واقعنا اللغوي اليوم، وفي واقعنا الثقافي؟

ولكي أجيّب عن هذه التساؤلات، والتي لا بد وأن تكون قد طافت في ذهن القارئ، لا بد من توضيح نقطة هامة.

ليست اللغة مجرد وسيلة للتخاطب، أو مجموعة مفردات وتركيبات تستعمل لتبادل الأفكار. إنما هي نتاج حضاري يعبر عن شخصية الأمة، وعن أفكارها وتاريخها. اللغة مجموعة أفكار ومعانٍ، يحمل كل معنى منها في طياته ملامح ذكرى عبرت، أو قصة حدثت، أو معتقداً تأصل في تقول أجيال وأجيال مضت من تاريخ الأمة وحضارتها. لذلك لا يمكن فصل اللغة عن الحضارة، فالحضارة مجموعة المفاهيم عن الحياة التي تأصلت ولا بد عند الأمة من لغة خاصة. واللغة نفسها تتطور تبعاً لظروف عيش الأمة على مدى الأجيال، بحيث تدلّج فيها تعابير جديدة ربما أملتتها طريقة العيش والمبدأ. لذلك عدّ كثير من المفكرين اللغة حضارة.

وليست هنا في معرض مناقشة هذا القول، إنّما ما أريد توضيحه هو أنه لا يمكن فصل اللغة عن المبدأ والمفاهيم والفكر، لأنها مرتبطة فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، حتى إن الإنسان يكوّن طريقة تفكيره حسب لغته، بحيث يفكر بهذه اللغة. والذي يفكر بالعربية لا بدّ وأن يتأثر بالإسلام، والذي يفكر بالفرنسية أو بالإنجليزية لا بدّ وأن يتأثر بهاتين الحضارتين، وهكذا...

فالمشكلة إذن أعمق من مجرد استعمال مفردات لتؤدي المعنى المقصود. بل المشكلة تتعدى ذلك إلى طريقة بناء الأجيال الفكري: إلى أي مبدأ نبني عقلياتهم وبأية لغة تحدّد أسس تفكيرهم، وبأية حضارة نربطهم؟

ولا شك أن تأثير اللغة - وبالتالي الحضارة - يزداد كلما بدأ تعلمها في سنّ أقل. فتعليم اللغة الأجنبية للطفل قد يؤدي إلى بناء شخصية بأكملها على أساس حضارة هذه اللغة، وهذا واقع ملموس في أيامنا. بينما يصبح تأثير اللغة على العقلية أقلّ كلما كانت الحضارة الأصلية متأصلة ومنتكنة في النفس والعقل أكثر.

فلا يمكن أن نقبل أن تكون عقلية أجيالنا مبنية على خليط متناقض من المفاهيم، لَمّا تعدد لغات وحضارات مرت على عقولهم. وهل نسمي ذلك تطوراً وثقافة؟

حدّ أدنى!

إن ذلك الشاب الذي يحاول أن يطعم كلامه ما أمكن بالمفردات الأجنبية لا يفعل ذلك لأنها أسهل لفظاً، إنما يفعل ذلك بدافع التأثير بحضارة الغير. والشاب المسلم في حالة انبهار - وليس فقط تأثر - بحضارة الغرب، لذلك فهو تواق إلى استعمال لغة الغرب موهماً نفسه بأنه سار شبيهاً بالغربي، وبأنه لا فرق بينه وبين ذلك الغربي المتحضر. ورغم ذلك، فإنه لا يمكنه الخروج من بعض ما علق بذهنه من حضارة الإسلام.

وحتى الآن لا زلنا نتحدث من منطلق الحدّ الأدنى من الحفاظ على شخصية الأمة - أمة أمة كانت - أو الشعب أو حتى الوطن، فلا بد لنا من الارتباط والانتماء لذاتنا ولتاريخنا وليس تاريخ غيرنا. فكيف ونحن كما وصفنا رب العالمين: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؟ كيف نبحت في حضارة غيرنا وقد أكرمنا الله تعالى بالإسلام وهو خير المبادئ والنظم؟ وما حاجتنا إلى لغة غيرنا وبين أيدينا لغة القرآن، ولغة الحديث، ولغة الفقه والتوحيد وكافة فروع الثقافة؟

ألم يأن للقائمين على وضع برامج الدراسة والمنفذين لها أن يفكروا في مصلحة أبناءهم؟ ألم يأن لهم أن يرفعوا هذا العبء عن كاهل الطلبة، ويحذفوا من البرامج هذا الحمل الثقيل الذي لا طائل تحته؟

أريد أن أسأل، ما فائدة دراسة اللغة الأجنبية في المراحل الابتدائية والتكميلية والثانوية والجامعية والدراسات العليا؟

سنة أشهر!

من البديهي أن يأتي الجواب وبكل صراحة متابعة الدراسة؟ إن هذا الجواب السطحي يُردُّ عليه وبكل بساطة أن ستة أشهر، أو سنة دراسة على الأكثر، تكفي لمتابعة الدراسة في أي بلد من بلدان العالم، حتى من تلك البلاد التي لا نعرف من لغتها شيئاً، لا من حروف الهجاء ولا من الألفاظ.

ففي الوقت الذي كان الناس مقيدين بإرسال أبنائهم إلى لندن أو باريس لمتابعة دراستهم كان ذلك الجواب فيه شبهة، وكان يمكن التدرُّع به، ولو أن الأيام أثبتت أن ستة أشهر تكفي ليتعلم فيها الطالب ما يمكنه من متابعة تعليمه. أما اليوم فقد فُتحت أبواب الجامعات في العالم، وفتحت آفاق الناس ليتابعوا تعليمهم في تلك الجامعات التي لا تعرف من لغاتها شيئاً، كدول أوروبا الشرقية وروسيا، أو الدول الغربية كالإيونان وإيطاليا وأسبانيا وألمانيا. ولا يحتاج الطالب فيها لأكثر من سنة دراسية واحدة ليتعلم لغة تلك البلاد ولا يُقال أنه في دراسته للغة الفرنسية أو اللغة الإنجليزية، يكسب سنة من سني حياته المعدودة، لا يقال ذلك لأن جامعات فرنسا وبريطانيا، وحتى الجامعة الأميركية في بيروت والقاهرة لا تقبل التحاق الطالب بها إلا بعد اجتيازه امتحان اللغة، بعد تأهيله لدخول الامتحان مدة سنة دراسة على الأقل. وعلى ذلك يكون هذا الجواب مردوداً على قائله، فالواقع الواضح الملموس ينفي ذلك.

مجموعة مترجمين

وقد يحاول الجيب أن يقول أبعد من ذلك، فيقول انه لا بد من معرفة اللغة الأجنبية لمتابعة البحوث العلمية العالمية والإطلاع على آخر ما وصل إليه العالم من علم وتكنولوجيا. وهذا الجواب مردود أيضاً. لأن البحث هنا في المناهج الدراسية. وليس في معرفة اللغة ومتابعة ما وصل إليه العالم. فمتابعة العلوم والمعارف أمر ضروري، إلا أن معالجة ذلك لا تكون بجعل اللغة الأجنبية تحتل الجزء الأكبر من برامج الثقافة والتعليم، وإنما العلاج يكون بترجمة كل ما يلزم للأمة من معارف وعلوم، ويكفي في ذلك إيجاد عدد من المترجمين يكفي لتغطية الحاجة.

ومن المعروف أن النظريات العلمية والمعارف التكنولوجية لا تقتصر على أمة دون أخرى، فهناك علماء من جميع أقطار الأرض: من أميركا ومن روسيا ومن اليابان ومن ألمانيا ومن فرنسا ومن غيرها، فأية لغة نجعلها لغة أساسية لنا من هذه اللغات، لتتابع بها ما وصلت إليه المدنية العالمية؟ أم ترنا نجعلها جميعها في مناهج دراستنا؟

وهل أبنائنا جميعاً سيحتاجون إلى هذه اللغات لتصريف أعمالهم الحياتية، أو مواصلة تنمية معارفهم العلمية؟ لذا فإن مثل هذه الإجابة لا يكفي أن أقول أنها سطحية كالجواب الأول، بل فيها شيء من الخبث أو الجهل.

حشو الأدمغة

إذن لا بد من التساؤل عن السبب الحقيقي لوضع هذه المادة ضمن برامج التعليم، ما دام أنه لا فائدة منها لمواصلة التعليم، ولا ضرورة لها في متابعة ما وصل إليه العالم من بحوث ونظريات ومعارف.

فلو افترضنا أن نسبة الطلاب الذين سيلتحقون في الجامعات ٦٠% من مجموع الطلبة، فإن نسبة الذين سيلتحقون في الجامعات التي تدرس الإنجليزية أو الفرنسية لا تتعدى ٢٠% من هؤلاء، وهذه النسبة لم يفدها ما درسته خلال أربعة عشر عاماً شيئاً لأنهم مثل بقية زملائهم سيدرسون سنة تحضيرية مثل الذين ذهبوا إلى ألمانيا أو إيطاليا أو روسيا أو تركيا أو غيرها. فما الفائدة إذن؟

ولو افترضنا أن نسبة ١٠% من العلماء والخريجين سيتابعون البحوث وملاحقة ما يصدر عن العالم من أفكار أو نظريات أو حقائق علمية (وهذا ضروري)، فما ذنب الـ ٩٠% من الطلبة حتى نحشوا أدمغتهم بمادة لا طائل تحتها. وقد بينا أن معالجة هذه المسألة إنما تكمن بإيجاد مجموعة من المترجمين المتخصصين لمثل هذه الأمور، كما هو الحال في كثير من دول العالم.

لذا فإننا نحبب بشبابنا الواعي على هذه المشكلة المخلص لأمته، أن يتحركوا لرفض هذه المناهج وإبعاد هذه المادة من برامج التعليم نهائياً، وجعل الحصص المخصصة لها حصصاً فاعلة في تنمية ثقافتنا، وبناء شخصيتنا. ولنضع حداً لهذه المهزلة الرخيصة التي فرضت علينا ما يربوا على نصف قرن. فكم من طالب فشل في حياته الدراسية بسبب اللغة الأجنبية، وكم من جهود ضاعت في اكتساب معرفة لا طائل تحتها، وكم من أموال بذلت في خدمة من هدم كياننا، وأذاب شخصيتنا

الدعوة إلى العامية نشأتها وأهدافها

لم يواجه المسلمون دعوات أشد خطراً على دينهم من تلك التي استهدفت اللغة العربية، لما للغة العربية من أهمية ومكانة في الدين الإسلامي. فاللغة العربية لغة القرآن، والحديث، والفقه، ولغة كافة العلوم الشرعية واللسانية، وهي ضرورية لفهم أحكام الإسلام وتطبيقها.

وقد اتخذت هذه الدعوات أشكالاً مختلفة، كان أخطرها الدعوة إلى إقصاء اللغة العربية الفصحى وإبدالها بالعامية.

وحسبنا أن نذكر مصدر هذه الدعوات لنذكر أهدافها ومراميتها. فأول من تحدث عن هذا الموضوع كان الدكتور (ويلهلم سبتا) الألماني، الذي وضع كتاب (قواعد اللغة العامية في مصر). فمن هذا الكتاب انبثقت الدعوة الأولى إلى اتخاذ العامية لغة أدبية. وفي هذا الكتاب أيضاً، وضع أول اقتراح لاتخاذ اللاتيني في الكتابة بدل الحروف العربية.

وجاء بعد الألماني (كارل فولرس) (١٨٩٠)، والإنجليزيان (سلدن ولمور) و(وليم لكوكس) وغيرهم كثيرون، وأخذ هؤلاء ينفثون سمومهم. وقد بلغ الحد ب (وليم ولكوكس) هذا أن قال في إحدى محاضراته عام ١٩٢٦: "إن أهم ما يمنع المصريين من الاختراع هو أنهم يكتبون ويؤلفون باللغة العربية الفصحى. ولو ألفوا وكتبوا بالعامية لأعان ذلك على إيجاد ملكة الابتكار وتميتها".

أما الدعوة إلى العامية في لبنان، وفقد تزعمها يوسف الخال وسعيد عقل ورشدي المعلوف وأنيس فريحة، وقد كانت صدى للدعوات الأجنبية، وسارت مسارها من حيث الأهداف والغايات.

ويكاد يجمع الباحثون على أن الدعوة إلى العامية هي دعوة استعمارية انساق وراءها الناس عن حسن نية عند بعضهم، وعن سوء نية عند البعض الآخر، وأن الأجانب هم الذين هيأوا لها المال والمنابر والعملاء.

وزعم المستشرقون وأعداء الإسلام لتأييد دعواهم أن اللغة العربية ضعيفة وعاجزة عن مجاراة الركب الحضاري، وأنها أرض صعبة ومعقدة، وأن أبناءها يجدون صعوبة في تعلمها وفهمها.

إن هذه الحركات لا يقصد منها سوى شيء واحد: هدم اللغة العربية لهدم ارتباط المسلمين بإسلامهم. فلا بد من العناية باللغة العربية ومصادرها، وذلك لإعادة النهضة الفكرية عند المسلمين، إذ إنه كلما انتشرت اللغة الفصحى، صار الناس أقرب إلى فهم الإسلام منهم اليوم □

نجيب حسام الدين

كتاب: حُكْمُ الْإِسْلَامِ فِي الْإِشْتِرَاكِيَّةِ

المؤلف: عبد العزيز البدري - رحمه الله.

الناشر: المكتبة العلمية/ المدينة المنورة/ ١٩٦٥. وتوزعه دار مكتبة الحياة في بيروت.

١٧٢ صفحة من الحجم المتوسط.

"... ولما شاع القول بوجود نوع من الاشتراكية في الإسلام، وذلك تقوّل على الإسلام، ومدخل إلى المروق منه، ألف فضيلة الأخ الشيخ عبد العزيز البدري هذا الكتاب (حكم الإسلام في الاشتراكية) في إبطال هذا القول، مبيناً أن لا اشتراكية في الإسلام، وأنها مخالفة لأحكام الشرع الشريف، وأن قواعده تأبأها بكل صراحة. وقد جاء البيان، بأسلوب واضح معزّزاً بالحجج القطعية. التي لا تدع مجالاً للشك لانطباقها على النصوص الشرعية القاطعة، وذلك نصحاً للأمة الإسلامية..."

من مقدمة العلامة الشيخ أمجد الزهاوي

"... لقد بلغ من إعجابي به (كتاب حكم الإسلام في الاشتراكية) أن قلت لبعض إخواني عنكم (أي الشيخ البدري) أنه يقبّل بين عينيه..."

من رسالة وجهها الشيخ محمد الحامد إلى الشيخ البدري رحمهما الله.

بعد عرض الرسائل التي تلقاها الشيخ البدري رحمه الله من العلماء المسلمين بعد إصداره كتابه هذا، ومن هذه الرسائل رسالة من العلامة سماحة الشيخ أمجد الزهاوي، ورسالة الشيخ وهي الألباني أحد علماء دمشق، ورسالة من الشيخ محمد الحامد، ورسالة من جمعية الأخت المسلمة في العراق، ورسالة من الداعية الإسلامي الأستاذ محمد الألوسي، يبدأ المؤلف كتابه (حكم الإسلام في الاشتراكية). فيقسم الكتاب إلى ١٥ باباً.

يبدأ المؤلف بتصحيح النظر لسعادة الأمة، وبأن سعادة الأمة لا تكون فقط بتصحيح النظام الاقتصادي المطبّق؛ وبإيجاد المعالجات للمشاكل الاقتصادية؛ بل تكون سعادة الأمة بمعالجة جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية، وقبل ذلك الروحية، "معالجة مبنية ومنبثقة عن عقيدة صحيحة وهي عقيدة الإسلام". وبأنه يجب "أن تكون معالجة مشكلات الأمة وتنظيم أمورها - ومنها الناحية الاقتصادية".

ثم في باب آخر يضيف المؤلف بأن لكل نظام عقيدة، وأن جميع أنظمة الحياة، وجميع حلول مشكلاتها ومعالجة قضاياها، تنبثق عن هذه العقيدة، وتبنى عليها، وتسير بتوجيهها. "وبقدر صحة وصلاح العقيدة، تكون صحة وصلاحية النظام المنبثق عنها... أما إذا كانت العقيدة فاسدة أو خاطئة، فإن ما انبثق عنها من أنظمة، وما بني عليها من أفكار تكون فاسدة وخاطئة، لأن ما قام على الفاسد فاسد".

ثم يقوم المؤلف بتعريف العقيدة بأنها هي إعطاء الفكرة عما قبل الحياة الدنيا وعما بعدها وعن وجود العلاقة بينهما، و"بعبارة أخرى، تكون للإنسان عقيدة حين يجيب على هذه الأسئلة أياً كان نوع الجواب صحيحاً كان أم خطأً والأسئلة هي: هل لهذا الوجود - الكون والإنسان والحياة - خالق؟ هل هذا الوجود له علاقة بموجده وخالقه؟ هل الإنسان مقيد في هذه الدنيا بهذه العلاقة؟ فالمسلمون الذين أكرمهم الله بالإسلام، أجابوا على هذه الأسئلة".
"والرأسماليون الغربيون، قد أجابوا على هذه الأسئلة"، "والاشتراكيون العلميون ومنهم الشيوعيون، أجابوا على هذه الأسئلة". وبذلك تكون العقائد (المباديء) التي تسود العالم في أيامنا هي ثلاث عقائد لا رابع لهما: الإسلام والرأسمالية والشيوعية. ويضيف الشيخ البدري "أما العقيدة الإسلامية فليست لها دولة كما للعقيدتين السابقتين".

ويركز المؤلف على أن الذين استوردوا الأنظمة الوضعية، كالرأسمالية والشيوعية، في عالمنا الإسلامي جهلوا بأن النظام لا يؤخذ إلاً مع عقيدته ف "إذا أرادت أمة من أمم الأرض، أن تستورد أنظمة من غيرها... عليها أن تؤمن بعقيدة تلك الأمة، وعقيدتها هذه هي عقيدة أنظمتها، كما عليها أن تقر وتعترف بكل ما جاء في تلك العقيدة...".

ثم يطرح الشيخ البدري تساؤلاً مهماً جداً، وهو هل يجوز للمسلمين أن يستوردوا نظاماً؟ "فيجب المؤلف بأنه إذا كانت للأمة عقيدة، وقد آمنت بها من أعماق نفسها وأقرت بصحتها واقتنعت عقلياً بصدقها، وهي أنظمة ومعالجات وحلول لمشكلاتهم وقضايا أمتهم، من أمة أخرى بقصد إيجاد السعادة لهم، وتحقيق الرفاهية لمجتمعهم وفي نفس الوقت يحتفظون بعقيدتهم الإسلامية، فهذا لا يصح عقلاً، ولا يجوز شرعاً للأمر التالية...". ثم يعدد هذه الأمور ب: ١ -
"أن أنظمة تلك الأمة ومعالجتها (حتى إن فرضنا صلاحها) لا تنتج إنتاجاً حسناً لأنها لم تنبثق عن عقيدة المسلمين...".

٢ - "أن تلك الأنظمة المستوردة وحلولها للمشكلات... لا بد أن تكون مناقضة كلياً أو جزئياً للأحكام الشرعية المنبثقة عن العقيدة الإسلامية، حيث أن الواقع أثبت التناقض...".

٣ - "العقيدة الإسلامية هي قاعدة أساسية انبثقت عنها جميع أنظمة الحياة واستنبطت منها جميع حلول المشكلات، وهذه الأنظمة وحلولها أحكام شرعية، مستنبطة وتستنبط من الكتاب والسنة المطهرة... وعلى المؤمنين بهذه العقيدة أن يؤمنوا (فقط) بما انبثق عنها من أنظمة...".

٤ - "أن العقيدة الإسلامية تفرض على معتنقيها، أن يرفضوا أي نظام آخر غير أنظمتها مهما اشتدت مشابقتها لأنظمتها"، ويخلص المؤلف إلى القول بأنه "إذا جاز لأمة في العالم أن تستورد أنظمة لها فإنه لا يجوز ذلك للأمة الإسلامية للأسباب المارة الذكر".

ويتطرق بعدها المؤلف للأسباب التي دعت المتصددين للقضايا العامة للاتجاه نحو الاشتراكية "نقول حين ظهر فساد الرأسمالية لأولئك...، قاموا بمحاولة للإصلاح... وكانت هذه المحاولة متجهة نحو الاشتراكية، التي أخذت تداعب بعض أحيولة الناس، حتى استهوت عقولهم فكثرت الداعون لها، وجمهرتهم لا تدرك حقيقتها...".

"وحين علم محاولوا الإصلاح!!، بأن اشتراكيتهم التي رقعوا بها رأساليتهم، أو بئلوا نظامهم السابق بها، سوف تصطدم بعقيدة وأحكام دينها، وأنها سوف تحرك مشاعرها ضدها، إذ الأمة بمجموعها لا زالت تحب الإسلام حباً...!!" قالوا إن اشتراكيتهم التي يدعون لها، غير الاشتراكية التي هي المرحلة قبل الشيوعية، كما يعتقد الشيوعيون، وأنهم لا يأخذون عقيدتها ولا يعترفون بها، ولذلك أسموها ووصفوها بالاشتراكية العربية، ووصفوها بالعلمية تارة وبالتقدمية أخرى، وكأن العرب لهم عقيدة ونظام، غير عقيدة الإسلام ونظام الإسلام!!".

ويعطي الشيخ البدري أصل الاشتراكية التاريخي، ومن هم الأشخاص الذين دعوا إليها، لينطلق بعد ذلك ليعدد قواعد النظام الاشتراكي فيلخص هذه القواعد بأنها

"١- تحقيق مبدأ - قاعدة - المساواة الفعلية بين الأفراد.

٢- إلغاء الملكية الخاصة - الفردية - كلياً أو جزئياً.

٣- الفرص الخاصة والحظ والإرث هي من الأسباب غير المشروعة لتملك والامتياز.

٤- الأرض ملك الأمة فلا يجوز توزيعها ولا احتكارها ولا توريثها.

٥- التأمين".

ثم يخصص باباً واحداً، وهو أكبر باب في الكتاب ويبلغ حوالي ٤٩ صفحة، يظهر التناقض التشريعي بين الإسلام والاشتراكية. فيقوم المؤلف بهذا الباب بنقض القواعد الخمسة التي يقوم عليها النظام الاشتراكي، مدعماً بالحجج والبراهين.

وبذلك يكون الشيخ البدري - رحمه الله - قد نقض النظام الاشتراكي على ضوء الواقع والإسلام نقضاً تاماً.

ويتنقل المؤلف في الباب التالي ليظهر الاختلاف العقائدي بين الإسلام والاشتراكية، ويختتم هذه الدراسة بدحض إحدى الشبهات التي أُوج لها، وهي شبهة، أن الإسلام لا يمانع أن يُصطلح على نظامه بالاشتراكية فيقولون بالاشتراكية الإسلامية. ويخصص باباً خاصاً ليورد موقف الإسلام من المصطلحات الأجنبية وبأنه لا يجوز استعمال المصطلحات التي تحمل مفاهيم غريبة عن الإسلام مهما تكن الأسباب ويستدل على قوله بأحداث حدثت على زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام. ويبين الكاتب هنا المفهوم الذي تحمله كلمتا الاشتراكية والديمقراطية، وبأن هذه المفاهيم مخالفة للإسلام، ولذلك فإن استعمال هاتين اللفظتين غير جائز:

وينهي المؤلف كتابه بباب صغير يلخص فيه أن لا اشتراكية في الإسلام وأنه: ﴿كُلُّ جَلْدٍ مِنْكُمْ شَرْعٌ

وَمِنْهَا جَاءٌ﴾ □

ما معنى: الإسلام فكرةٌ وطريقة، وما الدافع إلى هذا التصنيف، وما الفرق بين الطريقة والأسلوب، وإذا كانت الطريقة أحكاماً شرعية، أو ليست الأساليب أحكاماً شرعية أيضاً، ولماذا نقول بأن أحكام الطريقة لا يجوز تغييرها مع الظروف ويجوز تغيير الأساليب، وهل أحكام الطريقة هي اجتهادية مثل غالب أحكام الفكرة أو هي قطعية؟ سنحاول إلقاء الضوء على هذه الأمور في هذا المقال.

الإسلام فكرة وطريقة

تقريب إلى الفهم

لقد درج العلماء على تصنيف الأفكار الإسلامية إلى موضوعات، وتصنيف الأحكام الشرعية إلى موضوعات، ووضع عناوين معينة وأسماء معينة لمختلف الموضوعات، فقالوا: الإسلام عقيدة وشرعة، وقالوا: الإسلام دين ودولة، وقالوا: أحكام الإسلام شملت العقائد والعبادات والأخلاق والمطعمومات والملبوسات والمعاملات، وقالوا غير هذا كثيراً. وهم يتوَّخون من ذلك التوضيح والتبسيط والتقريب إلى الفهم.

من هذه التصنيفات قولنا: الإسلام هو فكرة وطريقة. وكلمة فكرة تشمل كل ما جاء به الإسلام من عقائد وأفكار متعلقة بالعقائد، وهذا يشمل ما في الإسلام من القصص وأخبار السابقين أو ما تنبأ به من أبناء المستقبل. وكلمة فكرة تشمل أيضاً الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات (ما عدا أحكام الجهاد) والمتعلقة بالأخلاق والمطعمومات والملبوسات والمعاملات. فإن هذه الأحكام جاء الشرع بها من أجل ترسيخها عند الناس ومن أجل إقامة المجتمع الإنساني عليها، فهي الطابع للأفراد وهي الطابع للمجتمعات. وأما كلمة طريقة، فهي تشمل أحكاماً شرعية فقط، ولا تشمل عقائد ولا أفكاراً متعلقة بالعقائد. والأحكام الشرعية المندرجة تحت الطريقة هي تلك الأحكام المقصود بها غيرها ولم يقصدها الشارع لذاتها. من هذه الأحكام (أحكام الطريقة) الأحكام المتعلقة بالعقوبات، من حدود أو تعزير، ومنها أحكام الجهاد، وأحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحكام السياسية الخارجية، وأحكام كيفية حمل الدعوة الإسلامية من قبل الأفراد أو من قبل الدولة. وأحكام نظام الحكم والخلافة. كل ذلك من أحكام الطريقة.

وكي نوضح عبارة: (الأحكام التي لم يقصدها الشرع لذاتها بل قصد بها غيرها) نضرب لذلك مثلاً حكم قطع يد السارق. فالشارع إنما شرع هذه العقوبة ليس لذاتها ولا حباً بها ولكن لحفظ الأموال. وهكذا جميع أحكام العقوبات قصد الشارع بها حفظ الفكرة التي هي مقصودة لذاتها، وسخر أحكام الطريقة لخدمتها. وكذلك القتال، فهو ليس مقصوداً لذاته وإنما شرعه الشارع لنشر الدعوة ولدفع الظلم ولحفظ الديار والأموال والأعراض والأنفس والدين.

من هنا جاء التفريق بين أحكام الفكرة وأحكام الطريقة، والضابط الذي يضبط هذا الفرق هو كون هذه الأحكام قد هدف الشارع إليها بذاتها فهي من أحكام الفكرة، أو لم يهدف إليها بذاتها بل جعلها طريقة للمحافظة على غيرها فهي من أحكام الطريقة.

الدافع لهذا التصنيف

في العصر الحديث لاحظنا كثيراً من علماء المسلمين، أو ممن تستر بهذا الاسم، ومن حملة الدعوة الإسلامية يهملون كثيراً من الأحكام الشرعية بحجة أنها ليست واجبة الاتباع الآن، وبحجة أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إنما عمل بما لأنها كانت تناسب ظروفه، ويقولون: ونحن إن وجدناها تناسب ظرفنا أخذناها، وإلا فإن الشرع لا يلزمنا بما. وبناء على هذا الفهم، أفتى بعضهم بأن كل ما عمله الرسول عليه وآله الصلاة والسلام في شأن كيفية حمل الدعوة، وفي شأن تنظيم الحكم، وفي شأن القتال، وفي شأن العقوبات، وفي شأن العلاقات الدولية لم يكن إلا أساليب ناسبت أوضاعه وظروفه فعمل بما، وليست هي من قبيل الأحكام الشرعية الثابتة التي أمر المسلمون بالتمسك بما وعدم الحيد عنها إلى قيام الساعة، ولا تدخل، حسب فهمهم، تحت قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، وليست حسب فهمهم من السنة الداخلة في قوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي».

حين ألغى كمال أتاتورك الخلافة سنة ١٩٢٤م وجد من يُصوِّر له الفتاوى بأن نظام الخلافة ليس إلزامياً في الشرع الإسلامي، وأصدر علي عبد الرزاق كتاب (أصول الحكم في الإسلام). وفي أيام عبد الناصر، قام عبد العزيز كامل يصدر الفتاوى ويلقي المحاضرات (كوزير للأوقاف) ر الحكم بالنظم العلمانية، زاعماً أن الإسلام فيه جانب ثابت هو العقائد والعبادات وبعض الأخلاق، وما عدا ذلك فهو متطور حسب الظروف وحسب ما يرى من بيدهم الأمور. وصار كثير من المسلمين الأتقياء بسبب الجهل يرون أن لا مانع من الاستعاضة عن الجهاد بالتبشير، ولا مانع من الاستعاضة عن العقوبات الشرعية بعقوبات عصرية، ولا مانع من الاستعاضة عن نظام الخلافة بنظام الجمهورية، ولا مانع من الاستعاضة عن القوانين الإسلامية بالقوانين المدنية الغربية... الخ.

إن هذه أمور خطيرة يحاول بها دعاة الأفكار الغربية نسف الإسلام كمبدأ عالمي لجميع شؤون الحياة، وقصره على العقائد والعبادات وبعض الأخلاق، مثل الديانة النصرانية البابوية.

من هنا فإننا وجدنا الحاجة ماسة عند المسلمين كي يفهموا أفعاله ﷺ على وجهها الصحيح، فوضعنا هذا التعبير: (الإسلام فكرة وطريقة)، لأن الانحراف حصل أكثر ما حصل في أحكام الطريقة.

إن الأحكام الشرعية المتعلقة بالطريقة هي جزء من الإسلام، وهي مثل أحكام الفكرة ومثل العقائد لا يجوز التفريط بها ولا التساهل في شأنها، ومخالفتها هي معصية، وإنكار القطعي منها هو كفر.

الطريقة والأسلوب

ولكن علينا أن نعلم أن الأعمال التي كان الرسول عليه وآله الصلاة والسلام يعملها في دائرة أعمال الطريقة منها ما هو عمل ظرفي اقتضته الأوضاع التي كانت قائمة، ومنها ما هو سنة ثابتة ومطلوبة في كل زمان ومكان. القسم الأول نسميه: الأسلوب، ويتوفر فيه شرطان: الأول أن يكون من المباحات، أي ليس مندوباً ولا واجباً، والثاني أن يكون ليس مقصوداً لذاته بل تم القيام به لإتمام عمل آخر فليس كل مباح أسلوباً، بل لا بد أن يكون مباحاً، ولا بد أن يكون تابِعاً لأحكام الطريقة وليس لأحكام الفكرة. مثال ذلك: ترتيب الجيش في معركة بدر، وموقع النزول بحيث جعلوا الماء خلفهم، وحفر الخندق حول المدينة، وإرسال نعيم بن مسعود للإيقاع بين اليهود ومشركي قريش، وعقد معاهدات حسن حوار مع قبائل اليهود حول المدينة، وتكليفه ﷺ للمغيرة بن شعبة وأبا سفيان بهدم اللات بدل أن يهدمها أهل الطائف، وإذنه بالهجرة إلى الحبشة. كل ذلك من الأساليب التي يشرع لنا أن نعملها أو نعمل مثلها إذا لزمنا حسب ظروفنا، وليس مطلوباً منا شرعاً أن نعملها إذا كانت ظروفنا لا تحتاجها. فالأسلوب هو عمل مشروع يقره نوع العمل الذي نقوم به. وهذا كله هو ضمن الأعمال التي قام بها رسول الله ﷺ.

أما خارج عمله عليه السلام، فإن كلمة (أسلوب) يمكن أن تطلق على أعمال محمّمة في بعض الحالات. فمثلاً السرقة حرام، ويمكن أن تتم السرقة بأساليب عدة: فيمكن كسر الباب أو نقب الجدار أو تسلقه. وهنا فإن الأسلوب يأخذ حكم العمل. فالعمل الحرام تكون كل الأساليب المؤدية إليه حراماً.

أما العمل الواجب فلا تكون كل الأساليب المؤدية إليه واجبة، بل ربما يكون بعضها مباحاً وربما يكون بعضها محرماً.

أما القسم الثاني، وهو ما نسميه: الطريقة، فهو أحكام شرعية ثابتة لا يلحقها تغيير ولا تبديل ولا تطور مهما تغيرت الظروف وتبدلت الأمكنة والأزمنة. ومثال ذلك أنظمة العقوبات التي حددها الشرع (الحدود). فلا يجوز أن نضع السجن مكان قطع السارق أو رجم الزاني المأجور أو جلد القاذف، ولا يجوز أن نكتفي بالتبشير بدل الجهاد، ولا يجوز أن نضع النظام الديمقراطي في الحكم بدل نظام الخلافة، ولا يجوز أن نجعل رعاية الشؤون الإلزامية بيد النقابات والجمعيات والبلديات، بدل أن تكون بيد الخليفة أو من ينوب عنه.

هناك أعمال قام بها الرسول ﷺ ويختلف حولها العلماء، فمنهم من يصنفها على أنها طريقة واجبة الاتباع ومنهم من يصنفها على أنها أسلوب أتباعه بالخيار. من ذلك مثلاً سلوك طلب النصرة من أهل القوة لأخذ السلطة. وحين تكون المسألة غير واضحة فلا بد من الرجوع إلى أهل الاجتهاد مثل سائر المسائل الخلافية. وفي هذه المسألة بالذات فإن أهل الاجتهاد رجّحوا أن طلب النصرة هو طريقة وليس أسلوباً، أي هو حكم شرعي ثابت لا يجوز الاستعاضة عنه بغيره. ربما يتبادر إلى ذهن بعض القراء أن الأسلوب المباح الذي يكون أخذه بالخيار ليس من السنة، وهذا خطأ، فإن السنة منها الواجب، ومنها المندوب إليه، ومنها المباح. وكذلك فإن السنة تعطينا أحكام التحريم وأحكام الكراهة. والمسلم

حين يتبع السنّة فإنه يعمل مثل عمل الرسول، على الوجه الذي عمله الرسول، لأجل عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فأنت حين تعمل المباح (أو تترك المباح) لأنك تعلم أن الشرع خيرك في ذلك، فإنك تكون قد اتبعت السنّة ولك الثواب.

كيفية حمل الدعوة

إذا كانت مبادأة العدو بالقتال لفتح بلادهم هي من أعمال الخليفة وليست من أعمال الأفراد، وإذا كانت شؤون السياسة الدولية وشؤون نظام العقوبات وشؤون نظام الحكم كلّها من أعمال الخليفة وليست من أعمال الأفراد، فإن شؤون كيفية حمل الدعوة فكرياً هي من عمل الأفراد. ولذلك فإن هذا الجانب من أحكام الطريقة هو منوط بنا كأفراد ومطلوب منّا أن نفهم أحكامه.

ونحن في هذه العجالة لا نستطيع أن نقدم أكثر من لفت النظر إلى بعض الأسس. ويسأل بعض حملة الدعوة: هل أحكام الطريقة (ونعني كيفية حمل الدعوة) هي قطعية واتفاقية؛ أو هي ظنيّة وخلافية بين علماء المسلمين؟ والواقع أن أحكام الطريقة هذه هي مجموعة كبيرة جداً من الأحكام، منها القطعي المتفق عليه مثل كون حمل الدعوة واجباً على كل مسلم وجوباً عينياً حسب قدرته، ومنها الظني المختلف عليه مثل وجوب الانضمام إلى حزب إسلامي وجوباً كفايياً أو عدم وجوبه. والراجح هو الوجوب.

ويسأل بعضهم: هل أحكام الطريقة هذه هي إلزامية أو اختيارية، أي هل هي من صنف الأساليب أو من صنف الطريقة؟ والجواب كما سبق وذكرنا أن أعمال الرسول ﷺ حين كان يدعو قبل إقامة الدولة منها ما كان أسلوباً مثل خروج المسلمين في صفين يكبرون ويطوفون بالبيت لنقل الكتلة من السرّ إلى العلن، ومثل إرسال عبد الله بن مسعود ليقرأ القرآن قرب الكعبة على مسمع من مشركي قريش، ومنها ما كان طريقة مثل منعهم استعمال العنف (إلا دفاعاً عن النفس). قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. ولا يجوز لنا أن نجعل أعمال الرسول كلّها إلزامية أو كلّها اختيارية، بل لا بد أن نفهم كل عمل من قرائنه، وهذا من عمل المجتهدين. وإذا وقع خلاف فكل مجتهد يتبع اجتهاده.

في حال وجود خليفة للمسلمين يكون عمل الدعاة (أفراداً أو أحزاباً) شاملاً دعوة الكفار إلى الدخول في الإسلام، ويكون شاملاً دعوة المسلمين إلى تفهم الإسلام والالتزام به، ويكون شاملاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإسداء النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم.

وفي حال عدم وجود خليفة للمسلمين، يكون عمل الدعاة (أفراداً أو أحزاباً) شاملاً لما سبق، وشاملاً بالإضافة إليه العمل لإقامة الخلافة ومبايعة خليفة.

وفي هذه الحالة الأخيرة، أي حالة عدم وجود خليفة للمسلمين، فإن العمل لإيجاده يكون واجباً وجوباً قطعياً وليس ظنياً. ومن يترك هذا الواجب يكون عاصياً، وإن تركه وجاهر بتركه يكون فاسقاً، ومن يُنكِر هذا الواجب يكون

كافراً. فوجود الدولة الإسلامية هو تطبيق لقسم كبير من أحكام الشرع، وزوال الدولة الإسلامية هو تعطيل لقسم كبير من أحكام الشرع.

وهذا الفرض، أي فرض إقامة الخلافة الإسلامية، هو فرض على الكفاية. وما دامت الكفاية من العاملين لم تحصل، وما دامت الخلافة لم تقم بعد فيصبح فرض الكفاية بمقام فرض العين على كل مسلم، فمن قام بما يستطيع سقط عنه الإثم وكان له الثواب. ومن قصر في ذلك كان عليه الإثم عند الله وإن صام وصلى وحج وزكى، وزعم المزاعم.

ويسأل بعض الدعاة: إذا كان فرد من الأفراد أو فئة من الفئات تدعو إلى بعض جوانب الإسلام ولم تقم بالدعوة إلى إقامة الخلافة، ألا يسقط ذلك الإثم عنها؟ فمثلاً هناك من يدعو إلى العقيدة. ومثلاً هناك من يدعو إلى العبادات والأخلاق. ومثلاً هناك من ينقب في الأحاديث لبيّن الصحيح من الضعيف. ألا يكون هؤلاء قد قاموا بواجبهم تجاه دعوة الإسلام، خاصة وأن كل وقتهم مملوء بالعمل للدعوة؟

والجواب أن الذي يعمل للعقيدة فإن عمله هذا لا يمنعه من العمل لإقامة الخلافة. أرايت لو أن هذا الذي يقول أنا أعمل للعقيدة لم يقم لأداء فريضة الصلاة في وقتها بحجة أنه مشغول بخدمة العقيدة، أكانت تبرأ ذمته عند الله؟ كلا. وكذلك فإن الاشتغال بالعقيدة لا يبرئ ذمته إذا قصر في أداء فريضة العمل لإقامة الخلافة، خاصة وأنه لا تعارض بين العمل لخدمة العقيدة والعمل لخدمة إقامة الخلافة، بل هو من مقتضيات خدمة العقيدة. وما قيل بخصوص من يزعم أن خدمة العقيدة تبرئ ذمته يقال بخصوص من يخدم علم الحديث أو من يخدم الدعوة إلى العبادات والأخلاق وغيرها.

أما إلى أي حد يفرض على المسلم أن يضحى ويتحمل ويصبر، فإن الأمر يختلف فيه المجتهدون. ولكنهم يتفقون على قدر معين نستطيع أن نعتبره حداً أدنى. لا خلاف على أن المسلم يجب عليه أن يدعو إلى الإسلام وإلى إقامة الدولة التي تطبق أحكام الإسلام. ولا خلاف على أن المسلم يجب عليه أن يبذل من جهده وماله ووقته (ويختلفون على الحد). ولا خلاف على أن المسلم يجب عليه أن يتحمل ويصبر على ما يلاقي من أذى. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي يكلفها وسعها، فمن نقص من ذلك فهو مقصّر.

أما إلى أي حد يندب له أن يبذل ويصبر، فإنه لا حد لذلك، فيندب له أن يضحى بروحه وماله. قال عليه الصلاة والسلام: «سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى حاكم جائر فأمره ونهاه فقتله».

فيا أيها المسلمون: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَحَنَّةٍ غُرْصُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ □

دور المرأة المسلمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: أبتدأ رسالتي هذه بتهنئة أسرة (الوعي) الكريمة على إصدار مجلتها الواعية. كما أنني أهنئها على حسن اختيار موضوعاتها وحسن معالجتها. وأنا أقدر لها نشاطها الذي به تنال رضوان المولى عز وجل.

وهنا أرجو أن يُسمح لي باقتراح بسيط، هو لو أنه يُخصَّص باب في مجلة (الوعي) يهَمُّ الأخوات المسلمات. فكثيرات منهنَّ يرين أن واجبهنَّ الشرعي يقتصر على عبادات معينة كالصلاة والصوم... مدعيات بأن هذا هو دور المرأة المسلمة لكونها امرأة، وبأن عملها يجب أن يكون محدوداً داخل نطاق بيتها. مع أن الآيات والأحاديث تدعو جميع المسلمين على السواء، دون أي تفریق بين الأنثى والذكر، إلى نشر الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأرجو من الله تعالى أن يزيدكم علماً ويقويكم عملاً مع دوام التوفيق □

الطالبة الأخت منال القصص

طرابلس الشام

(الوعي): نشكر الأخت القارئة على رسالتها وغيرها على المجلة، واقتراحها. والواقع أنه منذ صدور العدد الأول، وكثير من الأخوات يطالبن بفتح باب يهَمُّ الأخت المسلمة. ولا يزال هذا المشروع قيد الدرس نظراً لإمكاناتنا المحدودة، ولضيق صفحات المجلة. غير أننا لا نفرق في موضوعاتنا حتى الآن بين ما يهَمُّ المرأة وما يهَمُّ الرجل، ولعلنا إن شاء الله ننشر عدة مقالات عن النظام الاجتماعي في الإسلام، وعن دور المرأة في المجتمع، وذلك في الأعداد القادمة. وكما قلت فالمرأة دورها مساو للرجل فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس في موضوعات المجلة أي شيء يفترض فيها إلا يهَمُّها.

ردود سريعة

. الأخ القارئ غالب عبد الحكيم - الإمارات العربية المتحدة:

شكراً على اقتراحاتكم، وسنحاول العمل بها. أما البحث الذي أرسلتموه لنا فسنحاول أن ننشره في الأعداد القادمة إن شاء الله □

. الأخ القارئ محمد خالد - الإمارات العربية المتحدة:

شكراً على رسالتكم الطويلة، ونتمنى عليك اختصار رسالتك القادمة □

. الأخ القارئ ع.ق - طرابلس - لبنان:

نرحب بأفكاركم، ونتمنى أن تختصر رسائلك القادمة إلينا، أما البحث الذي أرسلتموه فسنحاول نشره في الأعداد القادمة إن شاء الله □

. الأخ القارئ محمد الترشيحي - البقاع - لبنان:

نعتذر عن عدم تمكننا من نشر ردودكم لأسباب قاهرة. نشكر لكم اهتمامكم بالمجلة. داوموا على الكتابة إلينا □

إقتراح

إلى الأخوة القائمين على مجلة (الوعي):

تعتبر هذه المجلة من أرقى ما صدر من مجلات فكرية إسلامية فتهي تحوي فكراً سياسياً مبنياً على الوقائع، واضح الأسس، محدد الأهداف، كما يظهر من خلال نوعية المواضيع التي تنشر.

بارك الله مسعاكم، وأتمنى لكم التوفيق، وإلى الأمام.

واقترح على الاخوة فتح بلجلد يد يتناول صوراً من الحياة الإسلامية التي بَعُدَ عنها المسلمون. ولكم الشكر □

أمين عبد الهادي - بيروت

(الوعي): نشكر الأخ أمين على اهتمامه بالمجلة. والواقع أننا بصدد نشر سلسلة من المقالات تتناول أسساً عملية للمجتمع الإسلامي، من سياسة داخلية وخارجية ونظم اقتصادية ونحوه، ونسأل الله أن يكون فيها ما ينفعنا ويوضح لنا كيفية استئناف الحياة الإسلامية.

تتوارد الأسئلة على أسرة التحرير. ولعل القارئ يلاحظ - كما لاحظنا - أن الأسئلة إنما تنطلق من الواقع العملي، وتخص واقع الحالة الاقتصادية في لبنان في الآونة الأخيرة. وهذا دليل على أن الأسئلة إنما يقصد بها العمل والالتزام بالإسلام. وهذه طائفة من الأسئلة تقدّم بها القارئان الموقعان
رئبال - ح وعبد الرحمن - ن من بيروت - لبنان:

الإضراب إخلال بعقد إجارة شرعي وهو حرام

س¹: الإضراب، ما حكمه في الشرع الإسلامي؟

ج¹: نحن نفترض أن السائل لا يسأل عن الإضراب مطلقاً، بل هو يسأل عن إضراب معين. إذاً فلن نتكلم عن الإضراب عن الطعام، ولا عن إضراب المرء عن الأعمال الخاصة به، كإيقاف أعماله، بل سنتكلم عن إضراب الموظف (الأجير) عن القيام بمهام وظيفته التي تعاقد عليها مع صاحب العمل.

(لقد اتفق العلماء على أن عقد الإجارة من العقود اللازمة). والعقد اللازم هو الذي لا يحق لأي واحد من العاقدين أن يفسخه من طرف واحد، ولا يحق لأي منهما أن يُجَلَّ به. وهذه الإجارة سواء تمت مع أجير عامّ كالخياط الذي يخطئ لسائر الناس، أو مع أجير خاص كالموظف عند رب عمل معين، هذه الإجارة ما دامت عقداً وقد تمت بموجب أركانها وشروطها الشرعية فلا يحل لأحد يجلّ بها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾. فكما لا يجوز لصاحب العمل أن ينقض العقد أو يعدّله من طرف واحد، كذلك لا يجوز للعامل أن ينقض العقد أو يبذله أو يمتنع عن الوفاء ببعض جوانبه.

وإضراب معلمي المدارس وإضراب العمال هو إخلال بالعقد، (وهو حرام).

رُبَّ قائل يقول: إن القانون المعمول به في البلد يسمح بالإضراب إذا أحسن العامل بالإجحاف. والجواب على ذلك هو أن القانون المعمول به ليس قانوناً شرعياً، بل هو من أنظمة الكفر الغربية. فإذا كانت الأنظمة الرأسمالية تسمح بالإضراب، والشرع الإسلامي يحرم الإضراب، فما على المسلم إلا أن ينجو بنفسه وأهله من الحرام إلى شرع الله الحلال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.

ورُبَّ قائل يقول: هؤلاء المعلمون والعمال مظلومون. نقول: نعم مظلومون. وها هم أضربوا لرفع الظلم عنهم، فهل حُلَّت مشكلتهم، كلا. ولن تُحلَّ ما دام هذا النظام مفروضاً عليهم. والدواء الناجع يجدونه في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَتْبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى ۖ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.

النظام الرأسمالي يظلم العمال، فابتدع العمال في بلاد الغرب في ظل هذا النظام الإضراب عن العمل كوسيلة ضغط على الرأسمالي صاحب العمل، بتعطيل أعماله، وإنقاص أرباحه، كي يوافق على إعطاء العمال حقوقهم. ثم رأت الحكومات في النظام الرأسمالي أن تسنّ قوانين تنشأ بموجبها النقابات، وتسمح بالإضرابات في حالات معينة، وذلك كترقيع للنظام الرأسمالي المهترىء. والبلاد الإسلامية كلها، ومن ضمنها لبنان، تخلت عن أنظمة الشرع الإسلامي بسبب انحطاط المسلمين وجهلهم، وبسبب خضوعهم للاستعمار والانتداب الغربي، وبسبب كون الحكام الذين بيدهم الأمر، والذين يسندون القوانين هم من عملاء الغرب الذين يحملون الولاء للغرب ولأفكار الغرب، ويحملون العداء لشرع الإسلام وعقيدة الإسلام. فصار المسلمون يقلدون الغربيين تقليداً أعمى. فرأيناهم يحتجون على إسرائيل أو على أميركا بالإضراب (أي بتعطيل أعمالهم وليس بتعطيل أعمال إسرائيل). إنه سفاهة وانحطاط. والأمل معقود على هذا الجيل الذي تسري في عروقه دماء الإسلام الحارة، والتي ستحرف نظام الكفر وأهله، وتخل محله النظام الذي هو رحمة للعالمين.

س^٢: نسمع كثيراً من الناس يقولون بأن التجارة بالدولار حرام. فهل هذا صحيح؟

ج^٢: الدولار هو أحد أنواع العملات الرائجة في العالم. ومثل الدولار هناك عملات كثيرة، مثل الفرنك والمارك والين والإسترليني والريال والدينار والدرهم وغيرها. هذه العملات يحل للمسلم أن يشتريها أو يبيعها بالعملة اللبنانية أو غيرها. وشراء النقود بنقود هو (الصرف). والصرف هو نوع من أنواع البيع، فيجب أن تتوفر فيه أركان البيع وشروط البيع مضافاً إليها شروط إضافية. هذه الشروط الإضافية وردت في النصوص المتعلقة ببيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، أو ببيع أحدهما بالآخر. وهذه النصوص شملت أيضاً بيع القمح بالقمح، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح أي المواد الربوية. ولكن بيع القمح بالقمح، لا يسمى صرفاً فلا يدخل في بحثنا، وكذلك بيع الشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح كلها لها شروط زيادة على شروط البيع العادي، ولكنها ليست من الصرف. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل سواء سواء يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم، إذا كان يداً بيد».

فإذا كان البيع ذهباً بذهب يشترط فيه أن يكون الوزن متساوياً، ولو كان بعض الذهب جديداً وبعضه قديماً أو مكسراً؛ أو بعضه مسكوكاً وبعضه غير مسكوك. والواقع أن هذا لا يحصل عند تجار الذهب، بل هم يشترون الذهب بنقود غير ذهبية، ويبيعون بنقود غير ذهبية ولكن بسعر أعلى من سعر الشراء. وكذلك شأن الفضة بالفضة.

ويشترط أن يكون البيع حالاً، فلا يصح في الصرف بيع السلم ولا أي نوع من أنواع التأجيل.

(ويشترط أن يجري التقابض من الطرفين في المجلس)، فإذا تفرقا دون تقابض من أحدهما أو من كليهما بطل

البيع. ولا يوجد في الصرف خيار الشرط الموجد في البيع العادي.

فإذا كان بيع ذهب بفضة فلا يبقى لزوم للشرط الأول وهو تساوي الأوزان، أما الشرط الثاني وهو أن يكون

البيع حالاً، والشرط الثالث هو التقابض من الطرفين في المجلس فإنهما حتميان.

والدولار والعملات الأخرى المتداولة اليوم ليست في واقعها ذهباً ولا فضة، ولا هي نائبة عن الذهب أو الفضة، ولذلك فإن جمهور الأئمة اعتبروها مثل سائر عروض التجارة التي تخضع لشروط البيع العادي فقط ولا تخضع لشروط الصرف. وهناك بعض المجتهدين استدلوا على أن هذه العملات تأخذ حكم الذهب والفضة من كل النواحي النقدية ومنها ناحية الصرف وهذا هو الفهم الأرجح وإن كان مخالفاً لرأي الجمهور، لأن الرأي يتبع قوة الدليل وليس الأكثرية. وبناء على ذلك فلو أردنا صرف ورقة مائة دولاراً مثلاً بخمس وراقات من فئة عشرين دولاراً فيجب أن تتوفر شروط الصرف الثلاثة: (المماثلة والحلول والتقابض). أما إذا أردنا أن نشترى دولارات بعملة لبنانية مثلاً، فلا محل لشروط المماثلة، ولكن لا بد من توفر شرطي الحلول والتقابض، وإلا كانت عملية الصرف باطلة لأنها تكون داخلة تحت النهي. (وكل عقد باطل يُجزمُ الإقدام عليه).

(ولذلك فإن التجارة بالدولار وبغيره من العملات هي عمل مباح إذا كانت مقيدة بأحكامها الشرعية).

هناك فئتان من الناس تنهيان عن تحويل العملة اللبنانية إلى عملات أخرى. إحدى هاتين الفئتين هي جاهلة بأحكام الشرع وجاهلة بالواقع. والفئة الأخرى هي فئة خبيثة تحاول تضليل البسطاء لأكل أموالهم. وهذه الفئة الخبيثة تشمل رجال الدولة الذين بيدهم البنك المركزي، وأصحاب البنوك الأخرى التي فيها ودائع مسجلة لأصحابها بالعملة اللبنانية.

وأمام فتاوى الجهلاء وتضليل الخبثاء، ترك البسطاء مدخراتهم بالعملة اللبنانية التي صارت تذوب وتتضاءل حتى تبخر أكثر من 99% من قيمتها.

وهناك من يقول: سنّ القوانين يعيد لليرة قيمتها، وكأن سنّ القوانين يمطر ذهباً!

وهناك من يقول: بيعوا قسماً من الذهب، فيرد عليه آخر: كلا، لا تمسوا الذهب، بل لتسترجع الدولة المرافئ والمرافق من الميليشيات، وبذلك تستطيع دعم الليرة.

وهناك من يقول: لتجتمع الحكومة أو فليقبل رئيس الجمهورية استقالتها وليشغل حكومة غيرها تجتمع، ومجرد اجتماعها يكون عصاً سحرية تحل المشاكل وتدعم الليرة وتطعم الناس سمناً وعسلاً.

لقد آن لكم يا أهل لبنان أن تفهموا أن لبنان ليس دولة ولا يملك مقومات الدولة، ليس اليوم فقط، بل منذ كان لبنان، فهو إما محمية أو مجموعة محميات. ورئيسه لا يجزؤ على إقالة حكومة، بل حتى لا يجزؤ على قبول استقالتها.

الحل أن يُعاد هذا الجزء الذي قطع عن أصله وسمي لبنان، وسمي زوراً باسم دولة، أن يعاد إلى أصله، وان يعاد هو وأصله إلى الحكم بالشرعية السمحة التي أنزلها الله رحمة للعالمين. فالمشكلة ليست في تجارة الدولار، بل هي في البعد عن رحمة الله □

سياسة تدعو للإسلام

بقلم: هيثم بكر

يعلّمنا رسول الله ﷺ كيف تكون الدولة الإسلامية مؤثرة في الواقع الدولي والرأي العالم، حتى تنتشر دعوة الإسلام وتسود كلمة الله. وتأثير الدولة الإسلامية يكون بأمرين: تثبيت هيبته في النفوس، وتأكيد صدقها ووفائها. فإذا ما توفر هذان الأمران، فإن دعوة الإسلام تصبح أكثر قوة وتأثيراً.

تحدثنا في العدد السابق كيف علم رسول الله ﷺ بتواطؤ أهل مكة مع يهود خيبر على مهاجمة المدينة للقضاء على الإسلام وبيّنا كيف خرج رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد العمرة، حتى توصل إلى مهادنة قريش. وكان في خروجه ﷺ بالمسلمين غمراً، واستنفاره العرب من حوله، وإحرامه بالمدينة ومفاوضته قريشاً كان في ذلك كله دليل على أن الرسول ﷺ إنما خرج من البداية قاصداً الهدنة مع قريش، حتى يحلّي بينه وبين خيبر. وقد جاء في العدد السابق أن ذلك كان (سياسة تدعو للإسلام)، وفي هذا المقال سنبيّن إن شاء الله كيف يجب أن تكون هذه السياسة، مستشهدين بفعل النبي ﷺ.

دجل وخداع!

ولعل البعض يعترض على تسميتها بـ (السياسة)، لأن السياسة كما نعدها وكما نراها عند ساسة الغرب من جهة وعملائهم وتلامذتهم في الشرق من جهة أخرى، دجل وكذب وخداع للناس، وتغليب للمصالح الشخصية على المصالح العامة. ونجد السياسة كذلك متحلّلة من كل قيم وعهود، لا تقيم للكلمة أو للعهد وزناً، بحيث يعدّ الحاكم نفسه بارعاً إذا خدع شعبه وأعطاهم من العهود والمواثيق ما لا يلتزم. وقد أصبحت السياسة في أيامنا رديفاً للدجل والخداع والمواربة والكذب، مما دفع بعضهم إلى الإفتاء بأن السياسة حرام، أو أن الحديث فيها ينقض الوضوء، وهم إنما يعنون بها سياسة الغرب وكذبهم.

ولن نناقش الآن مثل هذه الفتاوى، غير أننا نريد أن نوضح أن السياسة مطلقاً هي رعاية شؤون الناس. يقال في اللغة (ساس) و(يسوس) بمعنى قام بأمر الناس.

السياسة الحقّة

والإسلام جاء شاملاً لكل نواحي الحياة واشتمل على كل ما يتعلق برعاية شؤون الناس. لذلك فالإسلام يعلّمنا كيف تكون رعاية الشؤون، وقضاء المصالح، وتحقيق الأهداف والغايات وتنظيم الأمور، أو بتعبير آخر، يعلّمنا الإسلام كيف تكون السياسة الحقّة.

فالرسول ﷺ منذ دعا الناس إلى الإسلام في مكة، كان يهاجم علاقات الناس ونظمهم. وقد نزل الكثير من الآيات المكية تدم هذه العلاقات. وإذ دعا الرسول ﷺ زعماء قريش وقبائل العرب إلى أن يسلموا، ثم يمنعه وينصروه حتى يبلغ عن ربه، وأن يقيموا دولة الإسلام حتى يحكم بينهم بما أنزل الله، إنما كان يقوم بعمل سياسي وهو: الدعوة إلى تغيير النظام القائم، ووضع نظام يقوم على شرع الله.

وعندما استلم الرسول ﷺ الحكم في المدينة، ففضى ونظم ووقع العهود والمواثيق، وجيش الجيوش وغزا البلاد وافتتحها، إنما كان يقوم بالأعمال السياسية. وعندما خرج من المدينة يريد إعطاء الصورة المشرقة عن الإسلام ودعوته حتى يهادن قريشاً ويأمن جانبها، إنما كان يقوم بعمل سياسي.

لذلك، فإننا نتعلم من رسول الله ﷺ السياسة، ورعاية شؤون الناس، وتحقيق أهدافهم.

قوة وسمو

والدولة الإسلامية إنما هدفها تطبيق شرع الله، وإعلاء كلمته. وبذلك، تكون سياستها الخارجية واضحة ومحددة: الدعوة إلى الإسلام. والدعوة إلى الإسلام نهايتها معروفة: ضم البلاد إلى جسم الدولة لتصبح جزءاً من ديار الإسلام، بأن يطبق عليها شرع الله، وتسود فيها كلمته. والدولة تقوم بكل ما من شأنه أن يعطي صورة عن الإسلام ودعوته السامية. وإنما ليست دعوة استعمارية بل دعوة للخير وإعلاء كلمة الله. كما تقوم بكل ما من شأنه أن يحافظ على هيبتها وقوتها، فلا يتجرأ أحد عليها. فإذا تحقق هذان الشرطان: القوة والهيبة، والصورة السامية للإسلام وتعامله، فإن دعوة الإسلام تنطلق وتنتشر بين الأمم بإذن الله.

هيبة الدولة

وهذان العاملان: القوة والسمو تعلمناهما من فعل الرسول ﷺ. فإنه كان في تعامله مع العرب يحرص على إبقاء هيبة الدولة في النفوس، لئلا يتجرأ عليها القاصي والداني. فمنذ العام الأول، والرسول ﷺ يرسل السرايا إلى هنا وهناك، ويجوز المعارك، ويقوم بالتأديبات الداخلية والخارجية ليثبت هيبة الدولة في النفوس. وعندما فقدت الدولة الإسلام هيبتها جزئياً بعد معركة أحد، حرص النبي ﷺ على استعادة هذه الهيبة بسلسلة من التأديبات الداخلية والخارجية.

وحتى نلمس أهمية هذه النقطة، نلفت النظر إلى عمل النبي ﷺ عندما أراد مهادنة قريش. فإنه لما أراد ذلك، لم يرسل إليها يطلب الصلح، ولم يقيم بأي فعل من شأنه أن يضع الدولة الإسلامية في موقع الضعف، وإنما اتخذ خير وسيلة لتنفيذ مأربه مع حفظ هيبة الدولة: زيارة بيت الله الحرام. فبحروجه ﷺ من المدينة لزيارة البيت الحرام، دفع العرب إلى إجبار قريش على الصلح والمهادنة، وأظهر قريشاً أنها هي المعتدية والمتعنتة.

صدق ووفاء عهد

أما الرأي العام، فقد استغله النبي ﷺ لإعطاء صورة عن دعوة الإسلام ودين الإسلام. فقد أظهر أنه لا يريد حرباً. وإنما يريد العمرة، وهياً لذلك كل المظاهر: من خروجه معتمراً وإحرامه بالمدينة، فاستنفاه العرب للعمرة، إلى تجاوزه جيش المشركين بذي طوى وإطلاقه الأسرى... فكان لذلك كلاً عميق الأثر في نفوس العرب عن دعوة الإسلام. وإزاء تعدت قريش وإبائها إلا الحرب توسط العرب لدى قريش لحملها على الصلح. فلما رضخت، كان محصلة ذلك أمران رئيسيان:

الأول: أن النبي ﷺ حقق ما كان يريده منذ البداية، وهو مهادنة قريش حتى يتفرغ ليهود خيبر. وقد سار النبي ﷺ بعد ذلك فعلاً إلى خيبر وافتتحها.

الثاني: أنه كسب الرأي العام في جزيرة العرب. فقد خرج من تلك الجولة والناس يؤيدونه، ويصدقونه، وينفضون عن قريش لتعتتها وعدوانها. وكان لذلك أعمق الأثر عند الناس، خصوصاً أنه ﷺ التزم المعاهدة، وأوفى بالعهد الذي أعطاه لقريش مع حاجته إلى الإخلال به. فقد رد من جاءه من مكة مؤمناً. ولم يقبل أن يخالف العهد بينه وبين قريش.

مثل هذا الصدق والوفاء بالعهد يعطي الصورة المشرفة عن الإسلام، ويجعل نفوس الناس أكثر تقبلاً لدعوته، رغم ما يبداوا على ذلك من قيود. ورغم أن تعامل الدولة إنما هو مع الكفار الذين لا يحفظون عهداً، فإن الدولة لا يمكن أن تخل باتفاق أو تنقض عهداً في ذمة المسلمين.

ولذلك، وبعد صلح الحديبية، يذكر الرواة أنه ما حدث بعد ذلك بالإسلام رجل إلا أسلم، وأن الناس أقبلوا على دعوة الإسلام وتقبلوها، حتى في داخل مكة.

فعالية في الواقع

مثل هذه السياسة لا تسمى دجلاً أو خداعاً أو مواربة، إنما تسمى فعالية في الواقع وتأثيراً فيه، لتغييره على النحو الذي نريد، والذي يساعد دعوة الإسلام ويؤدي إلى نشر رسالته. مثل هذا يسمى تأثيراً في الواقع، وهو مطلوب من المسلم ومن الدولة الإسلامية، وذلك في صدق كامل ووفاء بالعهد.

هذه بعض ملامح السياسة في الإسلام. وإنه، كما يلاحظ القارئ، لم نتوسع في بحث هذا الموضوع، لأن الباب هنا ليس لمثل هذه الأبحاث، وإنما هو باب يقصد منه إلقاء الأضواء على الحياة الإسلامية التي عاشتها الأمة على مدى التاريخ. ولعلنا في القريب العاجل، نقرأ على صفحات هذه المجلة الغراء كيف تكون السياسة الإسلامية، هذه السياسة السامية التي تدعو العالم إلى اتباع دين الله ﷻ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَّكِرُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾

صدق الله العظيم

فسر ابن كثير رحمه الله هذه الآية بقوله:

وقوله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَّكِرُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ استفهام إنكار ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان كما جاء في الحديث الصحيح: «أشدُّ الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء». وهذه الآية كقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾، ومثلها في سورة براءة. وقال في البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمِهِمُ النَّبَأُ وَالصَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ ولهذا قال ههنا: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة وبهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ إلا لنرى وذلك لأن الرؤية إنما تتعلق بالوجود والعلم أعم من الرؤية فإنه يتعلق بالمعوم والموجود.

لذلك اخوة الإيمان، فلا ييأس حملة الدعوة والمجاهدين ولا يركنوا للذين ظلموا فتمسهم النار. وليعلموا أن ما الأساليب في تعذيبهم وسجنهم والتضييق عليهم في رزقهم إلا فتنة لهم وابتلاء من الله لعبادة المؤمنين المجاهدين في سبيله. فالصبر الصبر وسمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فعن خباب بن الأرت قال: قال يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا. فقال: «إِنَّ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ أَحَدُهُمْ يُوَضِّعُ الْمَنْشَأَ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَيُخْلِصُ إِلَى قَدَمَيْهِ لَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُؤَمِّسُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا بَيْنَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ لَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ».

ولقد اعتاد الظالمون من الحكام، أن يضطهدوا الذين يخالفونهم في سلوكهم المنحرف، ويناهضونهم في أفكارهم الباطلة، ولا يسايرونهم في أهوائهم، وينزلوا بهم أنواع الخن، بعد أن اعرضوا عن أشكال المنح التي قدمها الحكام إليهم، في ذلة وصغار، ولكن أئى للنفوس الكريمة، ذات المعدن الطيب أن تغرى بمال، أو يسيل لعابها على فتات الدنيا، أو تستمال بعرض زائل من الحياة.

أما المحن فقد استعدوا لها. وتحملوا نارها بصبر وجلد، وصابروا شدة بأسها بعزم واحتساب لأنهم فقهوا قول الله تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا نُو كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ وآمنوا بقول الخالق العظيم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

وفقهوا أحاديث الحبيب المصطفى حين يقول: «أفضل الناس مؤمنٌ يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله» وقوله: «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى حاكم جائر فنهاه فقتله». □

الصدق يهدي إلى البر...

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» □

العلماء إذا فسدوا

قيل للنبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «اجتناب المحارم، ولا يزال فوك رطباً بذكر الله. قيل: أي الأصحاب أفضل؟ قال: الذي إذا ذكرت أعانك، وإذا نسيت ذكرك. وقيل: أي الناس شر؟ قال: العلماء إذا فسدوا» □

ميثاق وسياسة

عندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب بالناس قائلاً: يا أيها الناس، من صحبنا فليصبحنا بخمس وإلا فلا يقرينا.

١- يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها.

٢- ويعيننا على الخير بجهد.

٣- ويدلنا من الخير على ما لا نتندي إليه.

٤- ولا يغتابنا بن عندنا الرعية.

٥- ولا يعترض فيما لا يعنيه □

موت في طاعة خير من حياة في معصية

روى أبو نعيم في دلائل النبوة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن رحي الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار ألا إن الكتاب والسلطان سيختلفان فلا تفارقوا الكتاب. ألا إنه سيكون عليكم أمراء يرضون لأنفسهم ما لا يرضون لكم، إن أطعتموهم أضلّوكم وإن عصيتموهم قتلوكم».

قالوا: وما نفعنا يا رسول الله؟ قال: «كما فعل أصحاب عيسى، حملوا على الخشب، ونشروا بالمناشير،

فوالذي نفس محمد بيده لموت في طاعة خير من حياة في معصية» □

دعاء

(كلمات من قالها موقناً دخل الجنة)

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك؛ وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

ثم قال: «من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» □

رواه البخاري

عدل الإسلام

خرج عمر بن عبد العزيز يوماً متنكراً إلى مفارق طرق تعبرها قوافل المسافرين فسأل أحدهم: كيف تركت الناس في بلدك؟ فأجابته: تركت البلاد، الظالم بها مقهور والمظلوم منصور، والغني موفور والفقير مجبور □

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ

الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ
مَنْ دُونَ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ